مجلة كلمة حق
السنة الأولى
العدد 08
مارس 2018

كلمة حق



المقاومة العراقية .. فصول من قصة الظفر
عبدالغنى مزوز

حازم أبو إسماعيل .. التجربة القصيرة
معتز زاهر

نماذج التغيير داخل الجيش المصري
محمود جمال

موجز سيرة (رفاعي طه) كما أملاها
محمد إلهامي

الخلاص الكبير
د. عطية عدلان

وغيرها من المقالات ....

محتويات العدد



كَلِمَةُ حَق

دوريـة ثـقـافـية مـعـرفـيـة
نخبة من الكـتاب والمفكرين

العدد الثامن , مارس 2018

klmtuhaq

www.klmtuhaq.blog

المشرف العام
محمد إلهامي

مدير التحرير
معتز زاهر



الافتتاحية..

ذكريــات كثيـرة ودرس مفقــــود

محمد إلهامي
المشرف العام

حفل شهر فبراير لهذا العام بالعديد من الذكريات الملهمة والمـؤرقـة للأمة الإسلامية عموما وللحركة الإسلامية على وجـه الخصوص، وعلى قـدر ما يُقال في الذكريات الكثير من الكلام المؤثر والمنمق والمتفاني في الإتيان بالجديد على قدر ما يبدو أن ثمة اتفاقا عاما على الاكتفاء بالتمجيد وعدم الاقتراب من مواضع الخلل والخطأ، والتي هي نفسها موضع العظة والاعتبار.

نعم، إننا نجد أنفسنا في حاجة لإنصاف الشخصيات التاريخية الكبيرة التي لطالما هوجمت وشُوِّهت وطُعِن فيها ولهذا تشغلنا مهمة رفع الركام الموضوع فوقها، وهو لا شك واجب تاريخي تجاه هؤلاء جميعا. ولكنه نصف الواجب فقط، فالنصف الآخر هو البحث المنصف المتجرد في السؤال الأهم: لماذا لم يستطع أولئك العظماء أن يحققوا أهدافهم؟ هنا يبدأ النقاش الحقيقي الذي نأخذ منه لأيامنا القادمة فنقوم بواجب المستقبل ولا نكون قد وقفنا فحسب عند القيام بواجب الماضي.

في كل تلك الأحوال كان العدو أقوى وأقدر، ولكن الله أخبرنا أن الهزيمة لا تكون أصالة إلا بالأسباب الذاتية (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير)، (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا؟ قل: هو من عند أنفسكم). ومهما تبارينا وتسابقنا في إثبات لؤم العدو وغدره فلن يفيدنا هذا شيئا، الإفادة على الحقيقة هي ما نستكشفه في تجربتنا من ثغرات.

١. مائة عام على وفاة عبد الحميد الثاني

في العاشر من فبراير الحالي مرت مائة عام على وفاة السلطان عبد الحميد الثاني، آخر الخلفاء المسلمين على الحقيقة، فمن جاءوا من بعده لم يكونوا يحكمون عمليا بل كانوا كمناصب شرفية قليلة التأثير في ظل حكومات تركية قومية متغربة.

عبد الحميد مشهور بموقفه التاريخي الصلب في صد ومقاومة تأسيس إسرائيل، ومشهور بمشروعه العظيم: إنشاء خط سكة حديدة تربط أطراف الأمة الإسلامية، ومشهور بمحاولاته المستمرة لمقاومة الاحتلال الإنجليزي والفرنسي والروسي، ولكنه مع هذا انتهى معزولا إثر انقلاب عسكري عام ١٩٠٩، لتنتهي بهذا صفحة آخر الخلفاء المسلمين، ثم لا تبقى إلا خمسة عشر عاما حافلة لتنتهي الخلافة الإسلامية كلها لأول مرة منذ بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم.

لعل نكبة انهيار الخلافة هي النكبة الأقسى والأكبر للأمة الإسلامية، وهي المصيبة العظمى بعد مصيبة وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، فمن بعدها صار المسلمون حرفيا كالفريسة المأكولة المنهوشة المقطعة الأوصال التي يَحكُم فيها أعداؤها فيسومونها سوء العذاب، ولا تزال كل نكبات المسلمين حتى هذه اللحظة هي فرع عن النكبة الكبرى بسقوط الخلافة واختفاء الخليفة المسلم.



السلطان عبدالحميد

لكن المهم هنا أن ذكرى عبد الحميد ستمتلئ بالثناء عليه وعلى مواقفه ومشروعاته، وستحاول أن تتجنب التقييم الموضوعي الذي يفسر لم لم يستطع عبد الحميد وقد حكم أكثر من ثلاثين سنة أن يوقف انهيار السلطنة العثمانية أو أن يجدد شبابها؟! لماذا دخل في صراع مع عدد من الزعماء الأفذاذ الذين أرقوا الاحتلال في كل أرض نزل بها كجمال الدين الأفغاني وعبد الله النديم مثلا؟ لماذا وصفه من لا يُتَّهمون في دينهم ولا إخلاصهم من العلماء والأعيان المسلمين بتهمة الاستبداد، بل وفرح بعضهم لأول وهلة بالانقلاب عليه؟ لماذا وكيف تكوَّنت نخبة عسكرية علمانية في ظل من وُصِف بأنه السلطان الأكثر يقظة وتنبها؟ كيف يتفق المؤرخون على ذكاء عبد الحميد ودهائه ثم تكون النتيجة أنه يُعزل بعد اثنتين وثلاثين سنة؟ ما الذي كان بإمكان عبد الحميد أن يفعله لكنه لم يفعله ليعيد تصحيح مسار الانهيار؟ ولماذا لم يفعله؟!

٢. استشهاد حسن البنا

تسعة وستون عاما مضت على استشهاد حسن البنا (١٤ فبراير ١٩٤٩) بطلقات رصاص لم توقف فقط مسيرة روح الشهيد بل كأنها أوقفت مشروعه أيضا.

ليس من شك في أن جماعة الإخوان استمرت بعد حسن البنا، بل وملأت الدنيا في العطاء العلمي والتربوي والدعوي، وقليل من العمل الجهادي، وكثير من مسيرة سياسية لم تثمر بعد طول الزمن ثمرة ذات بال!

لو كان مشروع حسن البنا علميا أو دعويا أو تربويا فحسب لقلنا بأن الجماعة استكملت مشروعه من بعده على خير وجه، ولقلنا في ذات الوقت بأن دخول الجماعة على الخط الجهادي والسياسي كان انحرافا عن مشروع البنا. أما حيث كان مشروع البنا مشتملا للجانب الجهادي والسياسي بما تدل عليه كتبه ونظراته وكلماته وبما تثبته صفحات التاريخ من تكوينه للنظام الخاص (الجهاز الأمني العسكري السري) وما تكشف عنه أوراق النظام الخاص ومذكرات قادته.. نقول: حيث كان مشروع البنا هكذا فلا بد من القول بأن هذا الجانب توقف باستشهاد البنا، إذ لا نستطيع أن نجد زعيما سياسيا من الإخوان استطاع تحرير بلاده مثلا أو قيادة معركة التغيير لإنشاء نظام إسلامي فيها. كذلك لم نجد بعد البنا حركة جهادية تحريرية من الإخوان استكملت الشوط وبلغت التحرير والاستقلال المنشود .

١. ربما يضرب أحد القراء مثلا بحركة حماس، وبالنسبة لهذا الموضوع يرجى قراءة مقال: تجربة حماس.. درس للشيوخ والشباب



الإمام حسن البنا

بعد استشهاد البنا ظلت الجماعة نفسها أكثر من عامين بلا مرشد عام، منفرطة العقد، حتى قام بعض قياداتها بلم شملها مرة أخرى.. مجرد انفراط العقد لعامين يطرح بقوة سؤال المؤسسة التي تتوقف لعامين عند غياب مؤسسها. وحين غيبت المحنة الإخوانَ زمن عبد الناصر لم تتجدد الجماعة مرة أخرى إلا بحركة إسلامية نشأت وهم في السجون ثم قبل قادتها الشباب طوعا الانضواء تحت راية الإخوان!

على كل حال، ليس هنا مقام تفصيل.. لكن تقييم تجربة البنا لا تزال موضع تجنب عام على كثرة المتحدثين بالمدح والثناء في حسن البنا (وهو مستحق له طبعا)، ولا يوجد على حد ما أعلم دراسات وافية تحاول كشف ثغرات التجربة التي أفضت لاستشهاده ولقدرة الدولة على تدمير الجماعة مرتين على الأقل. وسائر ما في هذا الباب هو محاولات خجولة تلمس الأمور برفق وهي مع هذا ملفوفة ومغطاة بسائر كلام الاعتذار والثناء والتبجيل.

ليس يضر حسن البنا -لا سيما وقد صار عند ربه، ونحسبه من الشهداء- أن تُقَيَّم تجربته بعين فاحصة ناقدة، فليس هذا طعنا فيه بل هو استلهام لمن يريدون العمل الآن.

٢. عمر عبد الرحمن

مر عام واحد على وفاة الشيخ عمر عبد الرحمن بعد ربع قرن من المحنة الشديدة، في السجون الأمريكية. إن مجرد تصور وتخيل صورة سجين مريض ضرير في سجن انفرادي لمدة ربع قرن يصيب بالهلع والحيرة! مجرد العيش مع الصورة نفسها محنة.. فكيف يا ترى كانت محنته على الحقيقة؟!



عمر عبدالرحمن

لا يزال شأن إنصاف الرجل وتاريخه واجب في عنق الأمة، وبالأخص في عنق رجال الجماعة الإسلامية المصرية التي كان الشيخ أميرها! ولكننا نتوقف معه في هذه السطور عند واجب المستقبل كما هو موضوعنا.

تـرى لـو أتيح الآن لرجل عالم جسور بعيد الهمة عظيم الفؤاد مشرق النفس في نفس حال الشيخ عمر عبد الرحمن مطلع السبعينات، لو أتيح له الآن أن يرى شبابا موفور العزم مسجور الهمّ ملتاع القلب يعرضون عليه أن يكون أميرهم بعدما نكص الشيوخ الكبار عن المهمات الكبار.. لو أتيح لرجل الآن مثل هذا فكيف يمكن لرجال الجماعة الإسلامية المصرية أن ينصحوه؟!

إنه لن تتوفر النصيحة السديدة إلا بالاطلاع الجيد والفهم العميق للتجربة نفسها، ثم بالتجرد التام في تقييمها.. فهل مثل هذا موجود لدى رجال الجماعة الإسلامية الآن؟!

أذكـر مـرة، وكنت مـع الشيخ رفاعي طه رحمه الله أنه عرفني على رجل من الجماعة الإسلامية كان مسؤولا عن ملفها الإعلامي، ولديه كم كبير من الوثائق المسموعة والمطبوعة التي يحتفظ بها ولم تنشر بعد، فألححت عليه أن ينشرها، فقال: لا وقت لدي للترتيب والتصنيف وذكر السياق الذي صدرت فيه كل وثيقة. قلت له: انشرها كما هي، ودع الأمر للباحثين والمتابعين فإن مجرد توفر المادة يتيح لكثيرين أن يتكلموا كما يتيح لكثيرين أن يفهموا ويبحثوا ويستخرجوا الرواية من مجموع ما جمعوه. لم يعجبه هذا وقال: لا بد من اجتماع الإخوة وكتابة تاريخ الجماعة الإسلامية بحيث يخرج مكتملا كرواية شاملة من كل الوجوه بدلا من أن يكتب كل واحد من وجهة نظره. قلت له: اعذرني، ولكن أكذب رواية للتاريخ هي الرواية الرسمية! وكان مما أسعدني يومها أن الشيخ رفاعي طه وافقني بشدة.. ومع هذا انتهى اللقاء وكلٌ على ما هو عليه.

إن الحركات الإسلامية تكرر أخطاءها لأسباب عدة من أهمها أن التجربة الحركية الإسلامية غير مكتوبة، وفيما تدور المعركة مع أنظمة وأجهزة أمنية تراكم ملفاتها وتدرسها وتضيف إليها تخوض الحركة الإسلامية معركتها برصيد تاريخي يقترب من الصفر، فيتكرر نفس الخطأ ثم يتكرر عليهم نفس أساليب المواجهة والاختراق والتصفية.

إننا بحاجة لكتيبة ممن يفرغون أنفسهم لتسجيل تاريخ الحركة الإسلامية، والتنقيب في صفحات التجربة بما في ذلك التجارب المهزومة لكي يستكمل هذا الدرس المفقود: درس المستقبل!

....

استراتيجيات النصر
تحديد نقاط الضعف

خالد فؤاد



لن يكون بمقدورك أن تهزم هذا الجسد الضخم، ثمة أمل في أن تصل الى موضع يتهاوى معه الجسد ولكن قبل أن تصل إلى هذا الموضع لا تدع دوامة المعارك الجانبية تستنزف قوتك، ضع نظرك دائما إلى هدف محدد واحسب المآلات والنتائج المترتبة، واعلم ان هذا الجسد الضخم يحتاج استراتيجية تعتمد على فهم دقيق لمفاصل الجسد والعقل الذي تصدر منه القرارت ومواطن الضعف.

لطالما كانت المعارك القديمة تزخر بفنون وخطط المواجهة مع الجيوش الضخمة والقوى العظمى، قدمت تلك المعارك أفكار متعددة تستطيع من خلالها القوى الناشئة ليس فقط توجيه ضربات موجعة لتلك الجيوش الضخمة ولكن هزيمتها والقضاء عليها، أصبحت فيما بعد تلك الفنون والأفكار تمثل استراتيجيات ليس فقط للمعارك العسكرية ولكن للثورات وإدارة الأزمات بين الدول وإدارة الشركات والمؤسسات. المشكلة الجوهرية والدائمة في أغلب المواجهات بين قوتين هي تلك المعضلة المتعلقة بمواجهة جسد ضخم أو قوى تفوق إمكانياتك بفروق ليست بسيطة؛ حيث تذهب أغلب هذه المواجهات في اتجاه معارك استنزاف طويلة الأمد لا تسفر عن تحقيق مكسب جوهري للطرف صاحب الإمكانيات الأقل؛ بل خسارة واستنزاف للموارد البشرية والمادية ودون أن ينال من الجسد الضخم بما يساوي حجم الجهد والتضحيات التي بذلت، قليلة هي التجارب التي بدأت بمواجهة العقول قبل مواجهة القوة، وتلك هي التي حققت نجاحات سجلها التاريخ.

أحد هذه التجـارب تقدم لنا واحدة من الاستراتيجـيات الهـامة والفعالة في هذا الإطار، قبل أكثر من ألفي عام وتحديداً قبل مائتي عام من الميلاد دارت حرب طاحنة وطويلة بين الإمبراطورية الرومانية والتي كانت تتخذ من مدينة "روما" عاصمة لها، وبين إمبراطورية قرطاجية والتي كانت تتخذ من مدينة "قرطاج" عاصمة لها (تقع بالقرب من تونس العاصمة حالياً)، كان الصراع والمنافسة محتدمة بين الطرفين للسيطرة على منطقة غرب البحر المتوسط، استمرت المعارك بين الجيش الروماني والجيش القرطاجي لفترات طويلة ومتقطعة ولكن تبقى الفترة الأبرز في تلك المعارك هي تلك الفترة التي امتدت أكثر من ١٨ عاما (٢١٨–٢٠١ ق.م) والتي كان على رأس قيادة الجيش القرطاجي حينها القائد الفذ "هنيبعل"، ذلك القائد الذي ما زالت خططه العسكرية تستخدم حتى يومنا هذا، تمكن الجيش القرطاجي في تلك الفترة من تهديد الإمبراطورية الرومانية تهديداً بالغاً؛ حيث عبرت جيوش هنيبعل جبال الألب وغزت أجزاء من إيطاليا واقتربت من روما العاصمة التاريخية والحصينة، على الجهة الأخرى لم يتمكن الرومان من صد هذا الهجوم القرطاجي، فقط تمكن أحد القادة الرومان "فابيوس" من وضع استراتيجية تقلل من الخطر القرطاجي والتهديد الدائم لروما.

اعتمد فابـيوس على استراتيجـية الكر والـفر من خلال مـعارك الاستـنزاف الخـارجية مع العدو، كان هدف فابيوس الرئيسي من وراء هذه الاستراتيجية هو تقليل حجم خسائر الرومان، ومحاولة إشغال الجيش القرطاجي واستنزافه في معارك صغيرة ومتتالية تُبعد الخطر القرطاجي عن روما، نجحت الاستراتيجية في تحقيق هدف عدم تقدم الجيش القرطاجي نحو روما ولكن في الوقت نفسه كانت خسائر الجيش الروماني ضخمة وربما لا تتناسب مع مجرد صد وإيقاف الخطر القرطاجي،

بدا واضحاً أن استراتيجية فابيوس في الأساس لا تمتلك مقومات النجاح حيث لم تكن الاستراتيجية تسعى إلى تحقيق النصر وإلحاق الهزيمة بهنيبعل وجيشه، ولكنها اعتمدت فقط على استنزاف قوة الجيش القرطاجي وإبقائه في مكانه دون تقدم وهو ما جعل المعارك تسير في اتجاه لا يبدو معه أن ثمة نهاية قريبة لتلك الحرب مع استمرار الاستنزاف في صفوف الجيش الروماني دون تحقيق نصر حقيقي.

بعد عدة سنوات من معارك الاستنزاف بين الطرفين وفي نفس إطار استراتيجية فابيوس، وقف "تسيبيو" ذلك القائد الروماني صغير السن مع جيشه محدود العدد على ضفاف نهر إيبرو (نهر يقع في شمال شرق إسبانيا) للاستعداد للسيطرة على منطقة النهر والدخول في معارك مع الجيش القرطاجي الذي امتلك وراء النهر عدة مستعمرات قوية وغنية بالثروات.

كان تسيبيو يدرك أن ثمة إشكالية في استراتيجية فابيوس التي ينتهجها الجيش الروماني في كل معاركه، فمع الوقت واستمرار الاستنزاف بين الطرفين ستكون النهاية الحتمية تهديدا حقيقيا للعاصمة الرومانية، وربما الهزيمة ونهاية مأسوية بسقوط روما، في نفس الوقت كان تسيبيو يدرك الفارق الكبير في إمكانيات جيش هنيبعل وقدراته الفائقة على المناورة السريعة أمام الجيوش الضخمة، وهو ما جعل تسيبيو يذهب بعيداً إلى نقطة لم يسبقه إليها أحداً من طرفي المعركة !



حاول تسيبيو أن يفهم جيداً ويحدد خريطة ومراك قوى الجيش القرطاجي الذي بلغ عدده في ذلك الوقت ضعف عدد الجيش الروماني، وامتد في جميع أنحاء إسبانيا مسيطراً على أغلب القبائل الإسبانية. على بعد عدة أميال من هذا المشهد الذي لا يبدو من خلاله أي إمكانية لتحقيق انتصار للرومان حتى لو بدا جزئيا، كانت تقبع في هدوء مدينة قرطاج الجديدة (تسمى الآن "قرطاجينا" وهي مدينة ساحلية تقع في جنوب شرق إسبانيا)، لم تكن تلك المدينة سوى مستودع ثروات الجيش القرطاجي ومركز إمداداته الرئيسي ونقطة انطلاق الدعم اللوجيستي للجيوش القرطاجية في إسبانيا، في ذلك الوقت جاءت التقارير لتسيبيو بمعلومة بسيطة ولكنها فيما بعد ستمثل تحولاً هاماً في مسار المعارك بين الطرفين، لم يكن يوجد في قرطاج الجديدة سوى ١٠٠٠ جندي فقط حيث كانت بقية الجنود والقيادات العسكرية منشغلة في معارك في مناطق مختلفة في إسبانيا، بدت المعلومة بسيطة لحاملها إلى تسيبيو لكنها مثلت لتسبيو نقطة الانطلاق في تدشين استراتيجيته التي سينتهجها فيما بعد في معركته مع القرطاجيين، هكذا اكتشف تسيبيو أحد أهم مراكز قوى الجيش القرطاجي والتي مثلت في نفس الوقت نقطة ضعفه الأبرز، بدت ملامح استراتيجية تسيبيو في التشكل فوراً، قرر أن يترك نهر إيبرو ويذهب بعيداً، هناك حيث تقبع مدينة قرطاج الجديدة بعيدة عن الأنظار، انطلق تسيبيو مسرعاً بجيشه نحو المدينة في الوقت الذي كان الجيش القرطاجي يستعد لملاقاته عند نهر إيبرو، هكذا خالف تسبيبو كل التوقعات وذهب ليوجه ضربة موجعة لأبرز نقاط ضعف الجيش القرطاجي والتي ستحدث فيما بعد خللاً هائلا في موازين القوى بين الطرفين لصالح الجيش الروماني، غارة سريعة كانت هي ما قام به الجيش الروماني بقيادة تسيبيو حتى يسيطر على أهم نقاط الإمداد بالمال والجنود للجيش القرطاجي، هكذا نجح تسيبيو في الاستيلاء على قرطاج الجديدة بسهولة.



سنوات قليلة بعد سقوط قرطاج الجديدة استطاع فيها الرومان فرض سيطرتهم الكاملة على إسبانيا وطرد الجيوش القرطاجية منها وذهبوا إلى أبعد من ذلك، إلى عقر دار القائد هنيبعل في قرطاج نفسها، لتنتهي قصة الجيش القرطاجي والقائد القوي هنيبعل وتصبح قرطاج أحد المدن التابعة إلى روما.

تحمل قصة الحرب بين الرومانيين والقرطاجيين الكثير من التفاصيل والكثير من الدروس والعبر؛ لكن يبقى أحد أهم تلك الدروس المستفادة هي تلك الاستراتيجية التي دشنها تسيبيو لتغير من مسار المعارك بشكل كلي لصالح الجيش الروماني. ليست العبرة بتوجيه الضربات إلى العدو وليست العبرة بقوتها وحجمها فقط ولكن العبرة بقدرتها على إحداث خلل في أحد أهم مراكز القوة لدى العدو، ذلك العمود الذي يرتكز عليه ويمثل مركز قوته ولكنه في نفس الوقت يمثل نقطة ضعفه الأبرز والتي تتسبب توجيه ضربة مؤثرة إليه في بداية سقوطه وانهياره.

تبدو الإشكالية دائما في تلك الاستراتيجية في أكثر من نقطة جوهرية، وتفقد الاستراتيجية فعاليتها بدون تحقق هذه النقاط:

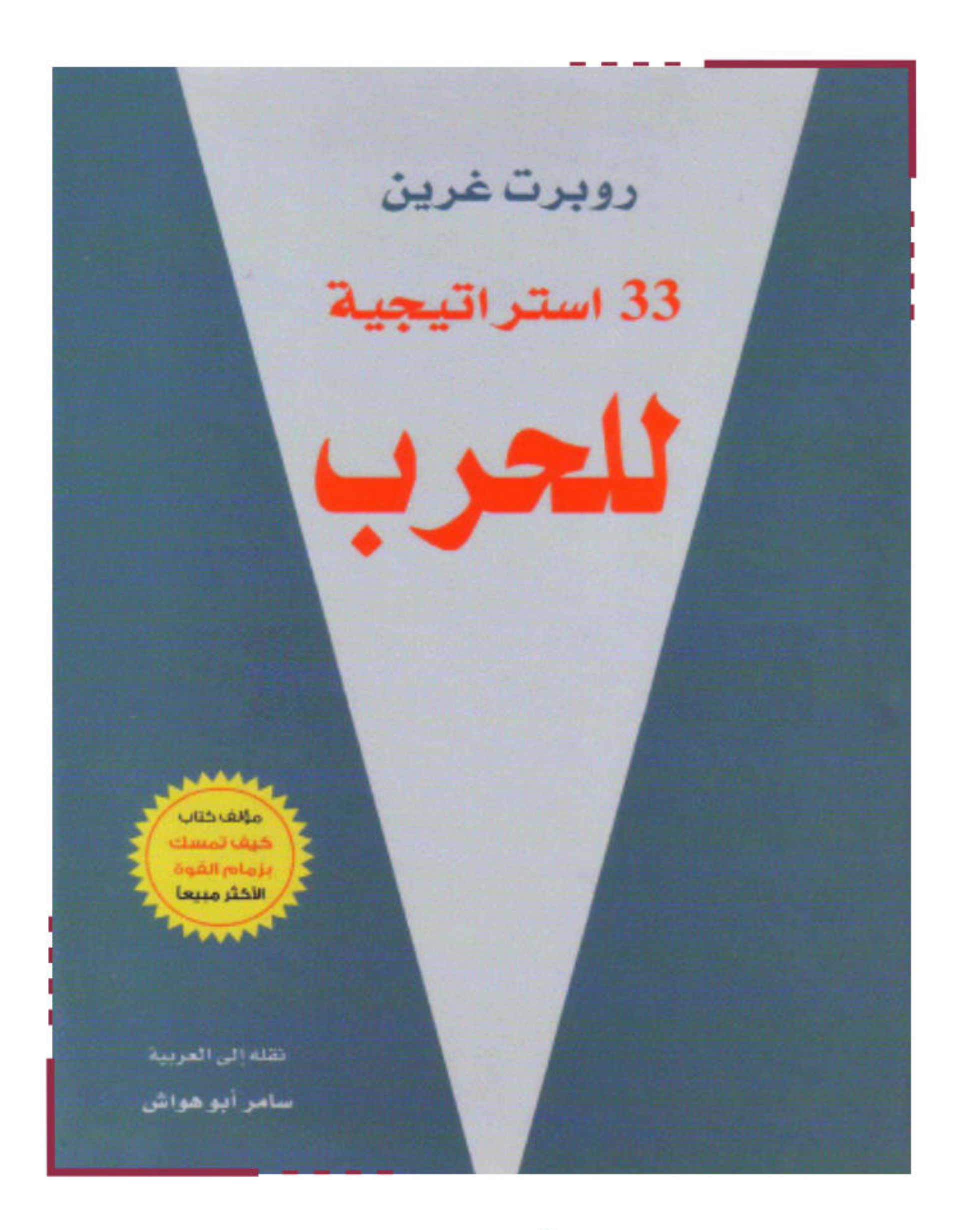
- القدرة على تحديد ذلك العمود (نقطة الضعف الأبرز) بدقة، وهو أمر لا يتوقف فقط على حجم المعلومات التي لديك عن عدوك، ولكنه بالأساس يتوقف على كيفية قراءة تلك المعلومات بنظرة أكثر دقة ومن زوايا مختلفة؛ لتتوفر لك خريطة متكاملة ودقيقة عن أبرز مراكز القوى لدى عدوك وعلاقتها ببعضها البعض، ويحتاج الأمر إلى الابتعاد عن المظهر الخارجي القوي للعدو والذي ربما يكون خادعاً ومبهراً والغوص في أعماق جسد العدو لتصل إلى تلك النقطة الحساسة.

- القدرة على إصابة تلك العمود بشكل يسبب خلل واضطراب حقيقي، وهذا الأمر يتطلب نظرة واقعية أبعد ما تكون عن النظرة الحالمة بحيث يمكنك من خلالها تحديد إمكانياتك وقدراتك على توجيه ضربة مؤثرة إلى ذلك العمود.

- التوقيت الملائم وهو يتطلب أيضا قراءة واعية لكل ما يحيط بك خارجياً من مؤثرات، ومتابعة دقيقة للعدو لتحيُّن الفرصة والتوقيت الملائم لإنفاذ الضربة وإصابة مركز أعصاب العدو إصابة بالغة.

- تقدير رد الفعل لا يقل أهمية عن التخطيط الجيد للفعل حيث تمثل حسابات ردة الفعل والقدرة على امتصاصها دون أن تتسبب في خسائر مكلفة داخل جسدك وبما يحافظ على قوتك، احد العوامل المؤثرة في اتخاذ قرار توجيه الضربة لذلك العمود.

يكفي فقط إذاً تحديد ذلك العمود بدقة، ثم الوصول إليه بقدرات مناسبة، وفي توقيت ملائم، مع تقدير مسبق لرد الفعل، بعد ذلك لن يكون عليك سوى التقدم برباطة جأش والانقضاض على ذلك العمود وتحطيمه بلا هوادة.



(هذا المقال يستوحي فكرته من أحد فصول كتاب "٣٣ استراتيجية للحرب"، للكاتب "روبرت جرين").

المقاومة العراقية...

فصول من قصة الظفر



عبد الغني مزوز

خلال الأشهر القليلة الماضية بدأ زحف الغزاة يمتد إلى المساحة المحررة في الشمال السوري، فسقطت عشرات القرى في غضون أيام؛ ما يهدد آخر معاقل الثورة السورية بالسقوط. تكرر نفس السيناريو في ليبيا حيث باتت عين زعيم الحرب (خليفة حفتر) على مدينة درنة بعد سيطرته على بنغازي، ولن تكون طرابلس بعيدة عن طموحاته ومغامراته قياساً إلى ما يحظى به الرجل من دعم ومساندة من مختلف القوى الإقليمية والدولية كوكيل معتمد في الحرب ضد الحركات الإسلامية الناشطة في ليبيا.

هذه التطورات الجديدة كشفت عن إمكانية حدوث تحولات جذرية في أنماط وأساليب الفعل الثوري في المرحلة القادمة.

إن الحشود الهائلة لخصوم الثورة وتفوقهم النوعي يجعل من انتقال الثوار من أسلوب المواجهة المباشرة والجبهات الثابتة إلى أساليب حرب العصابات خياراً غير مستبعد.

لا شك أن الأوضاع في بلدان الثورات خصوصا ليبيا واليمن وسوريا مرشحة إلى مزيد من التصعيد. ففي سوريا لم يعد الحديث عن ثورة تواجه نظاما طائفيا مستبدا حديثا ذا مصداقية، لأن الذي تواجهه الثورة هناك هو في الحقيقة احتلال أجنبي توزعت قواته على امتداد الخريطة السورية، حيث انتشر عشرات الآلاف من الجنود الروس والأمريكان والإيرانيين على طول البلاد وعرضها، وأقاموا قواعد عسكرية ضخمة في عدة مناطق بشمال وشرق وجنوب سوريا .

إن الحديث عن احتلال غازٍ ومقاومة تسعى إلى تحرير الوطن والإنسان يحيلنا إلى عدة تجارب ونماذج علىً مدار عقود بل قرون مضت، لكننا سنتحدث في هذه المناسبة عن تجربة غضة طرية لم تأخذ حظها من الدراسة والتوثيق، وهي المقاومة العراقية للاحتلال الأمريكي، وكيف تمكنت من تجريد القوة الأمريكية الجبارة من عناصر السطوة والتفوق، وكيف نجحت في تحويل الترسانة الحربية المكلفة التي استقدمها الغزاة إلى أجسام معدنية عديمة الجدوى والفاعلية.

المقاومة العراقية في لحظة من اللحظات لم تستطع فقط خلق توازن للقوى مع قوات الاحتلال والكيانات الرديفة له؛ بل تفوقت عليه حتى غدا هاجس المحتلين ينحصر في إيجاد طرق وأساليب للتعامل مع ما تستحدثه المقاومة من أدوات ووسائل في الحرب والمواجهة.

لقد أمضت القوات الغازية معظم وقتها في العراق وهي في حالة دفاع، وقد أظهرت آلاف المقاطع المصورة (المنشورة) جزءاً من هذا.

إذا كـانت المقاومة الفيتنامية قــد ابتكــرت أساليبهـا وتقنياتها في الكفاح والمقاومة، وتألقت في توظيف تكتيكات الأنفاق الحربية والشراك الخداعية التي أحكم الفيتكونغ نصبها في غابات الفيتنام الكثيفة، فإن المقاومة العراقية انتهجت أساليب وتكتيكات حربية أشد فتكاً وأبلغ أثراً وأقل تكلفة. من الخطأ مقارنة المقاومة العراقية بالمقاومة الفيتنامية فهذه الأخيرة كانت تحظى بدعم كبير من الإمبراطورية السوفياتية، حتى أن بعض الأسلحة التي زود بها السوفييت مقاتلي الفيتكونغ كانت متطورة وفعالة أكثر من تلك التي بحوزة الأمريكيين.

كما أن التضاريس الفيتنامية تعتبر بيئة مثالية لإطلاق حرب عصابات ناجحة ومستدامة، عكس الجغرافيا العراقية المكشوفة والمنبسطة والخالية من أية موانع أو سواتر طبيعة يمكن الاعتماد عليها في عمليات الكر والفر، وتحييد بعض الأسلحة كسلاح الطيران والدبابات والآليات الثقيلة، إضافة إلى أن المقاومة العراقية لم تتلق أي دعم أو مساعدة من أية قوة إقليمية أو دولية، بل كان اعتمادها على مخزون النظام السابق من الأسلحة ومعظمها أسلحة خفيفة ومتوسطة، وخبرات الضباط السابقين ومن التحق بالساحة العراقية من الكوادر الجهادية المدربة.



انطلق طوفان المقاومة في العراق بعد دخول القوات الأمريكية بغداد، وإعلان جورج بوش على متن حاملة الطائرات (يو إس إس أبراهام لنكون) انتهاء العمليات العسكرية، لقد أدرك الأمريكيون آنذاك أن كل حساباتهم كانت خاطئة.



كان هاجسهم الأكبر هو إقدام صدام حسين على استخدام ما تبقى لديه من الأسلحة الكيميائية، أو استماتة الجيش العراقي في الدفاع عن العاصمة بغداد. ولم يكن ضمن السيناريوهات التي توقعوها لما بعد سقوط بغداد أن تنطق مقاومة جهادية تحول العراق إلى مقبرة جماعية لجنودهم وآلياتهم.

لقد أقدم سلاح الجو الأمريكي في أولى غاراته على تدمير معسكرات وقواعد جماعة أنصار الإسلام في شمال العراق، على أساس أنها الجماعة الجهادية الوحيدة التي يمكن أن تقاوم وجودهم في العراق، وأظهرت الأيام كم كان رجال البنتاغون مخطئين في توقعاتهم.

لا شك أن المعطيات الجغرافية للعراق تقول إن أي فعل مقاوم ينطوي على مجازفة كبيرة، فلا غطاء غابوي ولا سلاسل جبلية تتيح الاختباء والمناورة والتدريب ولا خطوط إمداد مفتوحة، كل شيء يوحي بمقاومة يائسة واحتلال طويل الأمد، إلا أن المقاومة العراقية اعتمدت على تقنيات وأساليب أدهشت العالم وأربكت الغزاة، وزادت جغرافية العراق من نجاعتها وفعاليتها.

مــن أهم هــذه التقنيات والأساليب

- الألغام • والعبوات الناسفة • الاشتباكات الخاطفة
- القنص • السيارات المفخخة • الــرمانــات الحــرارية

سنتحــدث فــي هــذه المقالة عــن العبوات الناسفة وتوظيف المقاومة العراقية لها، وسنرجئ الحديث عن الأساليب الأخرى إلى مناسبات قادمة.



تكتيكات المقاومة العراقية نجحت تماماً في تجريد جيش الاحتلال من عناصر قوته وتفوقه، فسلاح الجو بكل أصنافه وأنواعه لم يعد يجدي، وهو الذي يُراهن عليه عادة في الحسم وترجيح موازين القوة. سلاح الدبابات أيضاً تم تعطيله ونزع الفاعلية منه، لأنها عاجزة عن المناورة السريعة بين الأحياء والممرات السكنية الضيقة، وهي بطيئة وثقيلة ما يجعلها صيداً سهلاً للعبوات الناسفة. ظهر سلاح العبوات الناسفة في الأيام الأولى من الاحتلال وسرعان ما تحول إلى نمط كفاحي عم معظم أرجاء العراق.

سلاح بدائي فتاك وغير مكلف. لقد أحس رجال البنتاغون بالغيظ والمرارة وهم يشاهدون ترسانتهم الجبارة تتحول إلى فتات يتناثر في الهواء.

زرع رجال المقاومة العراقية عبواتهم في كل الأماكن التي يغلب على الظن أن آليات الاحتلال ورجاله سيمرون فيها، وموهوها بطرق مبتكرة لا تخطر على بال، بطمرها تحت التراب أو وضعها في كيس بلاستيكي لتظهر ككيس قمامة ملقى على قارعة الطريق، أو دسها في جوف الحيوانات النافقة كالكلاب والقطط وغيرها.

وأحياناً تعمد المقاومة إلى وضع عبوة تمويهية بارزة ووضع أخرى مخفية على مقربة منها، وعندما يجتمع الخبراء لتفكيك العبوة التمويهية يفجرون العبوات المخفية.

أحياناً لا ينتظر رجال المقاومة مرور الآلية العسكرية على عبوتهم، بل يحملونها إلى أماكن تمركز هذه الآليات، حيث أظهرت عدد من المقاطع المصورة زحف هؤلاء بحذر حتى الوصول إلى تحت الدبابة المأهولة وزرع العبوة تحتها ثم تفجيرها عن بعد.

الإحصائيات الرسمية التي نشرها البنتاغون تظهر أن أكثر من ٧٠ في المئة من خسائر قوات الاحتلال في العراق ناجمة عن سلاح العبوات الناسفة، وأن معظم حالات الانتحار والأمراض النفسية التي أصابت العائدين من الحرب كانت بسبب رعب العبوات الناسفة,كما أن جل الإصابات الخطيرة وحالات بتر الأطراف والتشوهات الحادة تعود إلى نفس السبب.

عجــز جيش الاحتلال بما راكمه مـــن خبرات وما طوره من تقنيات على مدار عقود عن التعامل مع التحدي الكبير الذي تمثله "قنابل المقاومة". بعد مقتل الآلاف من جنود الاحتلال دفع البنتاغون بتقنيات متطورة إلى ميدان المواجهة بهدف كشف العبوات وتعطيلها، فظهرت كاسحات الألغام وهي عربات مزودة بأجهزة استشعار وتقنيات تقوم بالتشويش على الموجات الراديوية التي بواسطتها تُفجر العبوات عن بعد.

بعد أشهُر من وصل الكاسحات إلى العراق أظهرت أفلام مصورة كيف غدت هذه الكاسحات صيداً سهلاً لعبوات أشد فتكاً وتطوراً، وقد أعلنت فصائل المقاومة آنذاك تطويرها لأجهزة تحكم عن بعد لا تخضع للتشويش، وهكذا ذهبت ملايين الدولارات التي أنفقت على مشاريع الكاسحات أدراج الرياح.

مثلت العبوات الناسفة كابوساً مؤرقاً للاحتلال، وسلاحاً مدمراً عجز عن تطوير ما يردعه أو يحد من تأثيره، تماماً مثلما تمثل الطائرات بدون طيار وسلاح الجو عموما كابوساً مؤرقاً للثوار اليوم. هكذا قلبت المقاومة العراقية موازين القوة، وبنت لنفسها قوة ردع ذاتية فعالة وغير مكلفة.

في دراسة لخدِمة أبحاث الكونجرس صدرت في ٢٥ سبتمبر ٢٠٠٦ حول العبوات الناسفة في العراق فإن ما أُنفق منذ ٢٠٠٤ إلى ٢٠٠٦ لتمويل محاولات يائسة لمكافحة العبوات الناسفة بلغ ١.٦ مليار دولار، حيث مُولت عدة هيئات متخصصة في البحث عن التقنية التي تسهم في الكشف عنها بما فيها الطائرات، وعندما عجزوا قرروا تخصيص طرق مؤمنة خاصة لتحرك المعدات. ولمواجهة التطور الذي عرفته عبوات المقاومة دعا البنتاغون إلى عقد مؤتمر في (فورت إيروين)، بصحراء كاليفورنيا، حيث ناقش مهندسون وخبراء وقادة كبار في الجيش الأمريكي المشاكل التي تفرضها التقنيات الجديدة للمقاومة العراقية. وقد وصف الكولونيل بوب ديفيس، خبير المتفجرات في الجيش الأمريكي العناصر الجديدة في بعض المتفجرات، بأنها (مزعجة) على نحو (بارع).



مع تصاعد عمليات تفجير المعدات على الطرق أسسوا صندوقاً للإنفاق على برامج تساعد في مواجهة العبوات الناسفة بداية من ٢٠٠٦ ، واستنزف ميزانية تقدر بـ ١٦ مليار دولار إلى حدود سنة ٢٠١٠ ، دون أن يتم تقديم نموذج ناجع لتقنية قادرة على احتواء تهديد العبوات الناسفة. وفي الأخير اضطرت قوات الاحتلال إلى تقليل تحركاتها والانكفاء في القواعد والثكنات المحصنة ثم الانسحاب الجزئي في وقت لاحق. إنه أمر يبعث على الجنون بالنسبة لمخططي البنتاغون ورجال السياسة في أمريكا أن يروا دبابة (أبرامز) البالغ ثمنها أكثر من ٨ ملايين دولار تتحول في أجزاء من الثانية إلى فتات في الهواء بفعل عبوة ناسفة لا يتجاوز سعرها ٥٠ دولارا ً. فضلاً عن العربات الأخرى التي كلفت دافعي الضرائب الأمريكيين ملايير الدولارات مثل "الهامر" و"الهامفي" وأنواع أخرى من الآليات حصدتها العبوات بالمئات والآلاف.

جدير بالإشارة في سياق الحديث عن العبوات الناسفة واستنزافها لميزانية الاحتلال أن أكبر قضايا الفساد المالي في العراق مرتبطة باقتناء معدات مزيفة يفترض أنها تساعد على كشف العبوات، وقدرت قيمة العقود المبرمة في هذه الصفقات بمئات الملايين من الدولارات ابتداء من ٢٠٠٧ ، واستمر العمل بتلك الأجهزة المغشوشة عدة سنوات لأنها تجارة تدر على رجال المنطقة الخضراء ملايين الدولارات.



مع الأسف لا توجد كتب أو ملفات توثيقية تتناول بالبحث والدرس تكتيكات المقاومة العراقية وتؤرخ لأيامها، وما يتوفر منها بالعربية لا يتجاوز الكتابين أو الثلاثة، والمواد الإعلامية والتوثيقية التي كانت تصدر عن فصائل المقاومة معظمها اختفى من الشبكة. بينما تقوم الولايات المتحدة عبر صروحها الإعلامية الضخمة بتزييف التاريخ وإعادة كتابته لترميم ما تداعى من هيبة "القوة العظمى"، وإعادة الاعتبار لرجال المارينز "الخارقين"، فقد أنتجت هوليود عدداً من الأفلام بميزانيات ضخمة حول العراق والمقاومة، أحدها يتحدث عن "بطولات وذكاء" خبراء نزع العبوات الناسفة بعنوان (The Hurt Locker)، وفيلم آخر يتحدث عن بطولات قناص أمريكي في العراق بعنوان (American Sniper) للتغطية وحرف الأنظار عن ملاحم القناص العراقي الشهير "قناص بغداد".

وقد بلغ عدد الأفلام الأمريكي التي تناولت الحرب على العراق أكثر من ٣٠ فيلماً روائياً طويلاً، أما إجمالي الأفلام الأمريكية التي تناولت تلك الحرب حسب بعض الإحصائيات فهو يتجاوز ٢٠٠ فيلم بما فيها الأفلام القصيرة والوثائقية والأفلام الروائية الطويلة التي تناولت الحرب بصورة ثانوية. ورغم أن بعض هذه الأفلام أشاد بالأصوات المعارضة للحرب إلا أنها تقاسمت الرأي ذاته حول الطبيعة الإرهابية والهمجية لأولئك الرجال الذين يقاتلون الجنود الأمريكيين في العراق. وكما صنعت هوليوود من الجنود الأمريكيين في فيتنام أبطالاً مخلدين عبر سلسلة أفلام RAMPO تريد أن تفعل الأمر نفسه مع الجنود الأمريكيين في العراق.

فهل يبادر أهل الكفاءة والاختصاص من أمتنا لتقديم خدمة للتاريخ والإنسانية والأجيال القادمة بتدوين ونقل الحقيقة قبل أن يبددها وهْم هوليوود؟



نماذج التغيير داخل الجيش المصري والمآلات المحتملة بين حمل السلاح والتغيير السلمي

محمود جمال

مقدمة:

منذ أحداث ٣ يوليو ٢٠١٣ م، تعددت محاولات عناصر داخل الجيش المصري لتغيير الأوضاع الحالية، وتنوعت الحالات والأسباب والأهداف، والتي اشتملت في عمومها على معارضة السياسة القائمة التي أنتجت وضعا سياسيا واجتماعيا مضطربا مع كلفة عالية تحملتها قوات الجيش في مكافحة "الإرهاب"، والذي تكبدت من أجله خسائر كبيرة ومتتالية خصوصا في سيناء، وكذلك التنازل عن جزيرتي تيران وصنافير.

بعض المحاولات كتبت شهادة وفاتها في مهدها، ومنها التي لا تزال باقية وتحاول ضم المزيد من العناصر في سبيل تحقيق التغيير المأمول من وجهة نظرهم. ونستطيع أن نضع تلك المحاولات ضمن تصنيفين كبيرين: التغيير القانوني، والتغيير بالقوة.

أولاً: التغيير القانوني والدستوري:

وهو تغيير يتمسك بالحفاظ علي المؤسسة العسكري، ويسلك الطرق القانونية والدستورية للتخلص من القيادات الحالية للجيش المصري، التي يعتبرون أنها "تختطف" المؤسسة العسكرية، وتمثلت في ثلاث محاولات للترشح لانتخابات الرئاسة المقبلة في مارس ٢٠١٨:



قنصوه يبدأ :

في ٢٩ نوفمبر ٢٠١٧ م، أعلن العقيد أحمد عبد الغفار حسن قنصوه، وهو دكتور مهندس معماري استشاري، مدرس الهندسة المعمارية، يبلغ من العمر ٤٢ عام، في بيان عبر قناته على موقع اليوتيوب نيته الترشح لانتخابات الرئاسة، وذكر أنه سعى لإتمام الإجراءات القانونية فتقدم باستقالته من الخدمة العسكرية في مارس ٢٠١٤ ، بعد يومين من إعلان السيسي نيتــه الترشحَ للرئاسة، وتبرأ "قنصوه" من كل من فهم إعلانه الترشح على أنه تمردُ أو دعوةُ لاتخاذ أي موقف فردي أو جماعي داخل صفوف الجيش، وقال إنه يربأ بزملائه وبنفسه أن يكونوا معاول هدم في البنيان الذي يدينون له جميعا.

كشفت تلك الكلمات إلى أي مدى يحاول قنصوه التغيير داخل المؤسسة العسكرية ملتزما بالطرق القانونية والدستورية، وحاول أن يبرز في كلماته أن هناك مجموعات متواجدة داخل مؤسسات الدولة تؤمن بتلك الطريقة في تغيير الوضع المزري الذي وصلت إليه الدولة المصرية نتيجة ممارسات النظام "العسكري" الحالي.

بعد البيان بأيام اعتُقل قنصوه، وحوكم، وصدر الحكم عليه بالسجن ٦ سنوات مع الشغل والنفاذ، وهو ينفذ الحكم الآن بالسجن الحربي.

يمثل أحمد قنصوه طبقة القيادات الوسطي داخل المؤسسة العسكرية، إلا أنه في نفس الوقت حاولت قيادات عليا أن تقوم بخطوة مماثلة.

شفيق وعنان:

في نفس اليوم الذي أعلن فيه العقيد أحمد قنصوه عن نيته للترشح للرئاسة، أعلن الفريق أحمد شفيق، الرئيس الأسبق لأركان القوات الجوية عام ١٩٩١، وقائد القوات الجوية (إبريل ١٩٩٦ - ٢٠٠٢)، ووزير الطيران المدني، عن نيته للترشح في الانتخابات الرئاسية المقبلة، قائلاً بأن مصر تصارع كثيرًا من المشاكل التي أثرت على كل جوانب الحياة والتي أدت إلى تدهور جميع الخدمات.

وبعدها بساعات أعلن عن تضييقات تمارسها عليه دولة الإمارات التي ما لبثت أن قامت بترحيله إلى القاهرة بطائرة خاصة، كما صرحت به مي شفيق ابنة الفريق، ومن المطار اصطحبته المخابرات الحربية إلى فندق ماريوت بالقاهرة تحت الإقامة الجبرية، وهُدد بفتح ملفات الفساد وملفات أخرى شخصية وبالتنكيل ببناته الموجودات في الإمارات. وبعدها بأيام أعلن الفريق شفيق تراجعه ليتجنب الحبس في السجن الحربي وحملات التشهير الشخصية والعائلية.

بعدها بأيام أخرى أعلن الفريق سامي حافظ عنان (٢٠ يناير ٢٠١٨ م) رئيس أركان الجيش المصري الأسبق ترشحه لانتخابات الرئاسة، بعد ساعتين من إعلان السيسي ترشحه لولاية ثانية، وأرجع عنان قراره بالترشح إلى تردي أوضاع الشعب المصري نتيجة "سياسات خاطئة حملت القوات المسلحة وحدها مسؤولية الإدارة، دون تمكين القطاع الخاص من القيام بدوره في تسيير أمور الدولة".



الفريق أحمد شفيق



الفريق سامي عنان

وبعد أقل من ٧٢ ساعة جرى اعتقال سامي عنان بعد نشر بيان منسوب للقيادة العامة للجيش المصري تعتبر ما قاله يمثل تحريضا صريحا ضد القوات المسلحة، "بغرض إحداث الوقيعة بينها وبين الشعب". ثم اعتقلت المخابرات الحربية أكثر من ٢٣ ضابط جيش قيل إنهم كانوا على تواصل مع سامي عنان، منهم قيادات عليا بالجيش في عهد مبارك، وكان موقع «ميدل إيست آي» كشف في وقت سابق، أن اجتماعا عقد في القاهرة، لبحث المرشح لخلافة «السيسي»، شارك فيه عدد من كبار ضباط الجيش، منهم رئيس أركان الجيش الأسبق الفريق «مجدي حتاتة»، و«أسامة عسكر»، القائد السابق للجيش الثالث الميداني. كذلك شمل التنكيل سمير سامي عنان الذي أوقف عن عمله بالأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيا في الإسكندرية، وأحيل للتحقيق.

ثانيا: نماذج التغيير بالقوة:

عن طريق الانقلاب العسكري :

كانت أبرز تلك المحاولات بتاريخ ٢٠١٥/٦/١٦، حيث ألقي القبض على ٢٦ ضابطا (عميدان وأربعة عقداء وثلاثة مقدمين و سبعة عشر رائدا ونقيبان)، بتهمة محاولة الانقلاب العسكري واحتلال وزارة الدفاع والمخابرات الحربية ومبنى الإذاعة والتليفزيون، ومدينة الإنتاج الإعلامي، ووزارة الداخلية والأمن الوطني. واتُّهم الرائد مصطفى محمد مصطفى، بصفته موظفا عاما بإفشاء أسرار الدولة، وفي ٢٠١٥/٨/١٦ أصدرت المحكمة العسكرية مصرية حكمها في القضية وتراوحت الأحكام بين ٢٥ عاماً و ١٥ عاماً و ١٠ أعوام.

وكشفت مصادر أخرى في ٢٢-١٢-٢٠١٥ أن القضاء العسكري حكم بالإعدام على ثلاثة ضباط في الجيش "والأرجح أن الحكم لم ينفذ بعد" بتهمة التحضير لانقلاب عسكري، والتخطيط لاغتيال السيسي، وكان المخطط، وفقاً للاتهامات، ينص على قتل السيسي وخلق حالة من الفوضى، والتمهيد لحراك في الشارع تقوده أطراف من القوات المسلحة، لكن مصدراً آخر أوضح أن "الضباط الثلاثة كانوا يجهزون لتفجير طائرة السيسي خلال إحدى السفريات التي يقوم بها إلى الخارج"، وأشارت بعض مصادر أخري إلى أن عدد الضباط المتهمين أكثر من مائة ضابط برتب مختلفة.

العمل الجهادي "عشماوي وعماد عبد الحميد نموذجاً":

كانت هذه الوسيلة أحد الطرق التي تبناها بعض ضباط الجيش المصري، إذ انضم بعضهم إلى جماعات مسلحة ومنهم من أسس كيانات مسلحة لمواجهة النظام.

"هشام على عشماوي" مواليد عام ١٩٧٩، تدرج في الخدمة العسكرية إلى أن وصل إلى رتبة رائد بسلاح الصاعقة، وحاصل على فرقة السيل من الولايات المتحدة الأمريكية، خرج للمعاش عام ٢٠١٢ على خلفية أسباب طبية، ولكن كان "عشماوي" على خلاف تام مع النهج التي تسير عليه قيادات الجيش منذ أيام مبارك، وبعد خروج "عشماوي" من الخدمة بدأ رحلته بالانضمام إلي الجماعات الجهادية، ضمن صفوف جماعة أنصار بيت المقدس وليعمل بجوار زميله النقيب بسلاح الصاعقة سابقاً عماد عبد الحميد وكان قد أحيل إلى العمل المدني بقرار جمهوري لدواعٍ أمنية إثر اعتناقه للفكر الجهادي في عام ٢٠٠٧، وكذلك أيضاً الرائد وليد بدر، وهو خدم بالشئون الإدارية بالجيش، وفُصَل من الخدمة العسكرية عام ٢٠٠٥ لميوله الدينية.

دشـن هشام عشمـاوي وعماد عبد الحميد ووليد بـدر أولى أبرز عمـليات جمـاعة الأنـصار، حيث شارك هشام وعماد بالتخطيط، بينما استهدف "وليد بدر" بسيارته المفخخة موكب وزير الداخلية اللواء "محمد إبراهيم" في سبتمبر ٢٠١٣ عقب فض اعتصامي رابعة والنهضة بشهر واحد.

ثم في مارس ٢٠١٤ تولى "هشام عشماوي" مسؤولية خلايا جماعة أنصار بيت المقدس بالوادي، كما قرر فتح جبهة جديدة بالصحراء الغربية ضد نظام السيسي، وأثناء الإعداد لذلك حدث اشتباك مطلع يونيو ٢٠١٤ بين مجموعة من الجماعة ودورية جيش بالفرافرة قتُل خلاله 5 من عناصر الجيش، ثم أسس "عشماوي" لاحقا معسكرا بالواحات بلغ عدد المتواجدين به ٤٠ عنصرا. ومن ثم شنوا عملياتهم انطلاقا من المعسكر، فهاجموا سرية تابعة لحرس الحدود بالفرافرة وأبادوها بالكامل في يوليو ٢٠١٤. وبتاريخ ٢٠١٥/٧/٢١ أعلن "عشماوي" عن نفسه كأمير لجماعة "المرابطين"، ومن بعد ذلك التاريخ قيل إن عشماوي يوجد في مدينة درنه الليبية، وكان يرافقه أيضا عماد عبد الحميد، حتي قرر "عماد" العودة مرة ثانية إلى مصر في أواخر عام ٢٠١٦ م، ومعه بضعة أفراد من المقاتلين، وظلوا موجودين بالصحراء الغربية حتى أكتوبر من عام ٢٠١٧ م، ذلك الوقت الذي تمكن فيه "عماد" والمجموعة التي معه من نصب كمين محكم لقوات النخبة في وزارة الداخلية وقتلوا ٥٥ عنصرا من عناصر الشرطة المصرية، لكن بعد أيام من تنفيذ العملية قامت القوات الجوية المصرية من رصد "عماد" والمجموعة التي معه وقاموا بقصفهم وقتل "عماد" وأغلبية المجموعة التي كانت معه.

أما بخصوص هشام عشماوي فهو ما زال علي قيد الحياه، وكما نقلت مصادر فإن "عشماوي" قام في السنوات القليلة الماضية بحملة تجنيد وأن تلك الحملة بدأت تؤتي ثمارها حاليا من ناحية الأعداد المنضمة، وقد كشفت وكالة رويترز منذ أيام عن أن الشهور القليلة الماضية شهدت انضمام نحو ٣٠ ضابطا من قوات الأمن إلى جماعة أنصار الإسلام التي يرأسها الضابط السابق هشام عشماوي. وأضافت الوكالة أن ثلاثة مصادر أمنية مصرية ذكرت أن مقتل الضابط عماد عبد الحميد لم يثن مزيدا من ضباط الجيش والشرطة عن الانضمام لجماعة أنصار الإسلام.

لم تقتصر فقط فئة الضباط المنضمين إلي جماعات مسلحة في الفترة ما بعد 30 يوليو ٢٠١٣ م، على ضباط الجيش فقط بل امتدت أيضا إلى الشرطة المصرية ، وبناء على ما قالته وزارة الداخلية في وقت سابق من عام ٢٠١٦ م، عن تفاصيل للضباط الأربعة الذين اختفوا وانقطعوا عن العمل منذ ٢٩ أبريل ٢٠١٦ م، إنه يشتبه في تورطهم في عملية مقتل ٨ من أفراد وضباط الشرطة بحلوان. وطالبت وزارة الداخلية بتشديد الخدمة والحراسة على جميع البوابات والمنافذ الخاصة بتأمين قصر الاتحادية ومقار أخرى، وعدم السماح لأى فرد أو مركبة بالاقتراب من البوابات والأسوار وتفتيشها تفتيشاً دقيقاً، والإبلاغ الفوري عند التعرف على الأشخاص الأربعة، وذكرت أسماء الضباط رباعية وتواريخ ميلادهم وسنة تخرجهم، والضباط الأربعة هم خريجو دفعة ٢٠١٢ م، وهم حنفي محمد جمال "ويقال إنه من ضمن المشاركين في حادثة الواحات التي وقعت في ٢٠ أكتوبر ٢٠١٧ م، والضابط محمد جمال عبدالعزيز، والضابط خيرت سامي عبدالحميد محمود السبكي، والضابط إسلام وئام أحمد حسن.



وهذا يعني أن هناك شرائح بأعمار مختلفة داخل المؤسسات الأمنية والعسكرية بخلاف شريحة الضباط من أمثال هشام عشماوي الذين قاربوا الأربعين عاما، يرفضون تعامل النظام المصري الحالي، وأصبح لديهم رأي مخالف، ويعملون من أجل تغيير الوضع الحالي، عن طريق المواجهة المسلحة.

خلاصات واستنتاجات:

إن كل محاولات التغيير التي شهدتها المؤسسة العسكرية طيلة السنوات الماضية بالعموم لم تؤتِ ثمارها، ولكن بغلق كل المنافذ أمام من يطالبون بالتغيير من داخل المؤسسة العسكرية بالطرق القانونية والدستورية "من وجهة نظرهم" بتلك الممارسات التي تمت مع الفريق أحمد شفيق بعد إعلان ترشحه ووضعه تحت الإقامة الجبرية، وحبس العقيد أحمد قنصوه، واعتقال الفريق سامي عنان ووضعه بالسجن الحربي هو ومن يوالونه، فقد كتبت شهادة وفاة ذلك النموذج في التغيير داخل الجيش المصري، وهذا قد يدفع المطالبون بالتغيير داخل الجيش المصري دفعاً إلى اللجوء للبحث عن طرق أخرى لإحداث ذلك التغيير الذي يريدونه داخل المؤسسة العسكرية والتي يرون أنها مختطفة من قبل مجموعة من القيادات العسكرية.



هشام عشماوي

ولذلك فإن من يريد التغيير الآن داخل المؤسسة العسكرية سيكون أمامه ثلاثة بدائل:

أول تلك الطرق انضمام الضباط الراغبين في التغيير إلى الجماعات المسلحة، أو تأسيس كيانات مسلحة جديدة تواجه النظام الحالي عن طريق حمل السلاح، ولعل ما كشفت عنه وكالة رويترز بانضمام ٣٠ ضابطا في الفترة الأخيرة إلى جماعة هشام عشماوي من المحتمل أنه يؤكد على ذلك، وأن الضباط الذين يعفون من الخدمة بغرض أسباب سياسية كما نقلت مصادر إعفاء المئات من أفراد قوات الأمن من الخدمة في الشهور القليلة الماضية بسبب انتماءاتهم السياسية أو الدينية، قد ينضمون إلى تلك الجماعات المسلحة في الفترة المقبلة.

أما الخطوة الثانية التي من الممكن أن يتبعها بعض أفراد المؤسسة العسكرية في الفترة المقبلة لإحداث تغيير داخل المؤسسة هو بقاء تلك المجموعات داخل هيكل الجيش وعدم الإعلان عن أنفسهم، ولكن سيقومون بإمداد المجموعات المسلحة بالمعلومات التي قد لا يقدرون على الوصول إليها إلا عن طريق أشخاص من داخل الجيش، ويضرب البعض المثل بحادثة استهداف طائرة وزير الدفاع صدقي صبحي أثناء زيارته الأخيرة إلى العريش، والتي رافقه فيها وزير الداخلية مجدي عبد الغفار كنموذج لذلك الطريق الذي سيتبع من قبل تلك المجموعات، وكذلك أيضا ما ذكرته مصادر تابعة لجهاز المخابرات العامة المصرية أن جماعة أنصار الإسلام كانت تعلم مسبقا على الأرجح بتحركات الشرطة قبيل استهدافهم في حادثة الواحات البحرية التي وقعت في شهر أكتوبر ٢٠١٧ م.

أما الخطوة الثالثة المحتملة فهي التفكير في انقلاب عسكري محكم يضم في تشكيلاته الوحدات المهمة داخل الجيش المصري؛ كالوحدات التابعة للمنطقة المركزية العسكرية لقربها من الأماكن الحيوية والهامة بالقاهرة، ووحدات تابعة للجيشين الثاني والثالث الميداني كإمداد وتغطية لقوات المنطقة المركزية، وسيكون العائق الأهم الذي ستحاول التعامل معه هي قوات التدخل السريع التي تدين كل الولاء لعبد الفتاح السيسي كونه أنشأها في مارس ٢٠١٤م، قبيل تخليه عن منصب وزير الدفاع والترشح لرئاسة الجمهورية، وذلك أن السيسي اهتم بتسليحها بشكل متطور ومتنوع منذ إنشائها، وهو ما سيجعل الأمر مشتملا على التفكير في وحدات تابعة للمنطقة الشمالية العسكرية بالإسكندرية لمواجهة قوات التدخل السريع المتواجدة بشكل مكثف بالمحافظة.

باستمرار السياسات والممارسات التي تعتمدها قيادات الجيش المصري، فإن المرجح أن تزداد شرائح الضباط المتحمسة لتغيير الوضع الحالي، والتي قد تشمل مستويات مختلفة داخل هيكل الجيش المصري، مع تضاؤل في من سيحاول تكرار الطرق الدستورية والقانونية لصالح من سيسلك الطرق الأكثر خشونة، لا سيما وقد صرح رأس النظام نفسه بأن التخلص منه هو الخطوة الأولى في أي عملية تغيير.

يسألونك عن الجبهة الإسلامية للإنقاذ (٥)

الصغير منير



كانت الجبهة الإسلامية للإنقاذ واحدة من أكثر التجارب السياسية حيوية وتأثيرا في تاريخ الجزائر المعاصر بعد الاستقلال، فلم يعرف الجزائريون التعددية ولا الحرية السياسية ولا المنافسة النزيهة ولا تدافع المشاريع بشكل مكشوف وواضح وصريح مثلما حدث بعد أحداث ٥٠أكتوبر ١٩٨٨.

ثلاثة عقود مرّت منذ الاستقلال نشأ فيها جيل كامل تحت حكم الحزب الواحد والنمط الاشتراكي البئيس التقليدي الذي تحوّل قبيل أحداث أكتوبر إلى انفتاح رأسمالي فوضوي، كانت كافية في تراكم قدر كبير من الغضب والحرمان والبؤس السياسي والرغبة في الانعتاق والشعور بالتخلّف وبسطوة الاستبداد ممثلا يومها في الرعب من بطش الأمن العسكري(MS).

ومن خـلال الجبهة الإسلامية للإنقاذ تمكّن الجزائريّون المؤمنون بالمشروع الإسلاميّ من دخول ميدان الصراع والمزاحمة والتنافس وفق ما كانت تسمّيه أدبيات الجبهة بأسلوب (المطالبة والمغالبة). وقد ذكرنا في الحلقات السابقة أنّ الذين انضمّوا إلى الجبهة الإسلامية لم يكونوا طيفا واحدا ولا نمطا سواء، فقد كانت الجبهة الإسلاميّة نموذجا شبيها بجبهة التحرير الوطني أيّام ثورة التحرير التي حاولت جمع كل التيارات السياسية المؤثرة تحت رايتها وإيجاد طريقة تسمح بأن تكون جميعها في خدمة هدف واحد كبير هو الاستقلال وتحرير الجزائر.

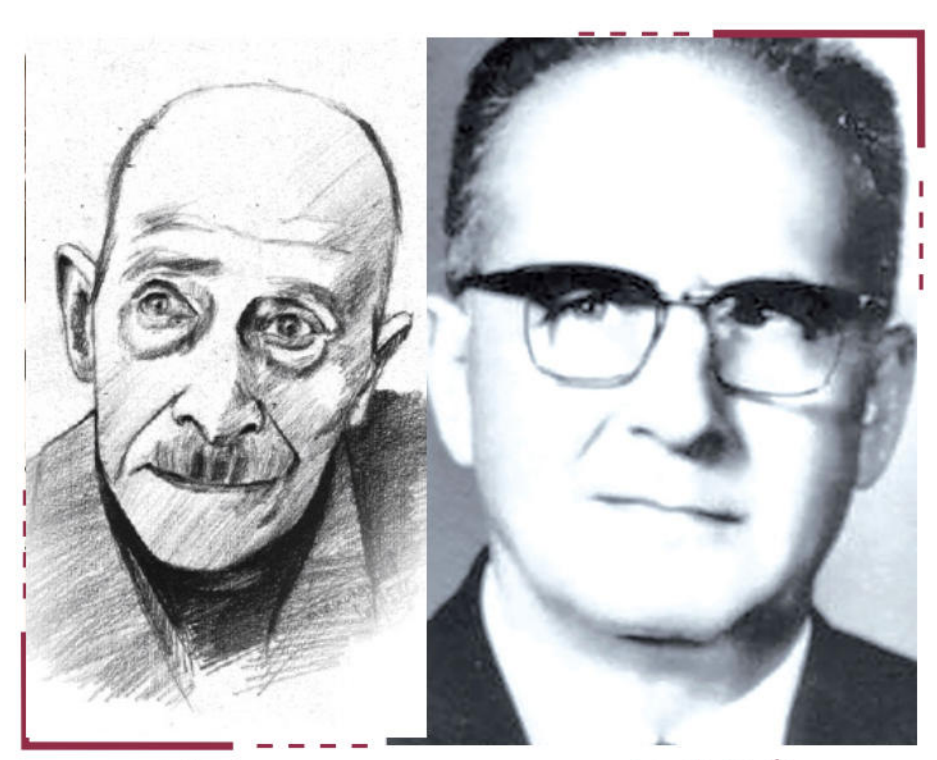
كان في الجبهة كثير جدا من أبناء الحركة الإسلامية الذين انضمّوا إليها قناعة بخطّها السياسيّ ومن كلّ الجماعات، وكان هؤلاء هم عمودها الفقريّ والمؤسسين لها والحاضرين في قياداتها الولائيّة والبلديّة، كما كان فيها المتديّنون من الجزائريين الذين وجدوا أنفسهم في الجبهة وعثروا على أمل كان يبدو لهم بعيد المنال، وكان فيها سكان المدن والقرى والأرياف والطلبة والعمال والأكاديميون والأئمة والدعاة وغيرهم من كلّ مكوّنات المجتمع الجزائريّ ممّا منح الجبهة قوّة سياسية وشعبية طاغية وسبّب لها أيضا مشكلة كبرى في إدارة هذا التنوّع البشري وكثافته العدديّة وفتح للسلطة وأجهزتها الأمنية يومها بابا للاختراق و توجيه الأحداث بل وصناعتها واستثمارها أحيانا.

الناقمون على الجبهة وخطّها وخطابها وأدائها إلى يوم النّاس هذا من الإسلاميين كثير، بعضهم يفعل ذلك لأنه يعتبر أن الجبهة سرقت جهود السابقين من العاملين في حقل الدعوة الإسلامية والتربية والإعداد والتكوين، وبعضهم ينقم عليها تهوّرها واندفاعها، وبعضهم ما زال يتألّم لأن الجبهة وضعته على هامش الأحداث ولم يتحصّل على صوت واحد في أي استحقاق انتخابيّ معها، وآخرون شكّلت لهم الجبهة هاجسا وما تزال لأنّهم بعد انقلاب العسكر والتيار اليساري العلماني عليها اصطفّوا بطريقة أو بأخرى وبحجج أكثرها واهٍ داحض مع الانقلابيين و لازمتهم تهمة مباركة الانقلاب وانعدام الشرعية، وآخرون لم يستطيعوا منذ غياب الجبهة إخراج مسيرة أو تجمّع من بضعة آلاف تعبّر عن موقف رافض أو محتجّ على مواقف السلطة وخياراتها بينما يتذكّرون عشرات ومئات الآلاف الذين كانت الجبهة تدعوهم ببيان أو نداء واحد فيهبّون مستجيبين ملبّين، وبعضهم يرى تأسيس الجبهة منذ البداية خطّة نسجتها مخابر أجهزة الاستخبارات لكشف الحركة الإسلامية وضربها ضربة قاضية تأتي عليها.

لم يكن خطاب الجبهة ولا سلوكها السياسي ولا خياراتها الكبرى والتكتيكية فوق النقد أو تخلو من الضعف وانعدام الرؤية والبصيرة السياسية أحيانا بكلّ تأكيد، وقد ذكرنا من ذلك الكثير في الحلقتين الأوليين من هذه السلسلة، ولكن الجبهة كانت هي قدَر الجزائر والجزائريّين في سنواتها الثلاث من ١٩٨٩ أواخر إلى ١٩٩٢ ، وكانت هي الثمرة التي أفرزتها مسيرة التاريخ وسيرورة الأحداث.

صديق الأستاذ مالك بن نبي الأستاذ الفيلسوف حمودة بن الساعي حين كان يرى مسيرات الجبهة تجوب شوارع مدينته بكلّ زخمها واندفاع الشباب وحماستهم وشعارات التحرر واستكمال الاستقلال وإقامة الدولة الإسلامية المرفوعة فيها كان يقول : (فرنسا وراء الستار).

وصدق رحمه الله، فما كان لفرنسا أن تغفل أو تبقى بعيدة عن ساحة تمور بالكراهية لها والرغبة في التحرر من نفوذها وهيمنتها في الجزائر وقد تشكّل تهديدا لها وهي على بعد سويعات عبر البحر وساعة وبضع دقائق بالطائرة ووجود ملايين من المهاجرين من الجزائريين على أرضها.



حمودة بن الساعي

الأستاذ مالك بن نبي

ثم دخلت الولايات المتّحدة الأمريكية على الخطّ بحذر وصمت وهدوء بعد حرب الخليج الأولى وموقف الجبهة الإسلامية منها.

وكانت الكويت والمملكة السعودية على خط الولايات المتحدة نفسه، وشكّل هذا التوحّد في النظرة إلى الجبهة والموقف منها بين الولايات المتّحدة وفرنسا من جهة و الكويت والسعودية من جهة ثانية وخوف الأنظمة العربية من انتقال العدوى إليها وخاصة مصر وتونس وليبيا من جهة ثالثة؛

شكّل ذلك حلفا غير معلَن - يعمل فيه كلّ طرف وفق خطّته وتصوراته - هدفه منع الجبهة الإسلامية من تحقيق أيّ إنجاز سياسيّ والحيلولة دون وصولها إلى السلطة ومراكز القوّة والتأثير في أجهزة ومؤسسات الحكم، وهو الأمر الذي تفطّن له العسكر والمخابرات واستثمروه لاحقا في تبرير الانقلاب والبحث عن الحلفاء واستجداء الدعم و تفسير قسوة الإجراءات ودمويتها وقبل ذلك عمليات الاختراق والتوظيف وتلغيم الجبهة ومؤسساتها بالطريقة التي تحدثنا عن بعضها في مقالات سابقة.

واحدة من الأخطاء الكبرى للجبهة أنها كانت تصارع النظام

كأنه بمعزل عن قوى الهيمنة في العالم، وكأنها بسقوطه ستكون في راحة من أمرها في الجزائر، بينما كشفت الأحداث بمجرد فوز الجبهة في التشريعيات اصطفاف فرنسا والولايات المتحدة في خندق واحد، وبدأت الآلة الإعلامية في التحرّك وبثّ الإشاعات وترويج الأكاذيب وسرد الأرقام المرعبة والتوقعات والاحتمالات الكارثية بعد استلام الجبهة الحكم في الجزائر، وظهرت قضيّة المفاعل النووي في عين وسّارة بولاية الجلفة جنوب الجزائر التي أثارها الإعلام الفرنسي ثم الغربي والأمريكي على أنّه مفاعل لأغراض عسكرية وأنّه يشكّل تهديدا للغرب ومن ثَمّ المطالبة بتفتيشه ومراقبته، واقتربت بوارج الأسطول السادس من المياه الإقليمية الجزائرية بشكل غير معهود ولا مسبوق.

وبدا واضحا لكل مراقب أنّ الأمور تسير في اتّجاه التصعيد وأنّ الغرب وعلى رأسه فرنسا كانت تبحث عن منفّذ أو حليف أو عميل في الجزائر وداخل مؤسستي الجيش والاستخبارات بشكل خاصّ، أمّا المجتمع المدني الذي يسيطر عليه اليساريون واللائكيّون فقد كانت فرنسا أمسكت بزمامه منذ مدّة.

في خضمّ ذلك كلّه كانت الجبهة في وضع لا تُحسد عليه، وكانت الضغوط السياسية والأمنيّة والإعلاميّة عليها هائلة أفقدتها القدرة على اتّخاذ القرارات بسرعة وفعاليّة وكفاءة تناسب الموقف وتكافئه، مع غياب الرؤية السياسية والاستراتيجية المقابلة لكلّ هذا الجهد المنسّق المتناغم الذي يبذله أعداؤها في الداخل والخارج، ومع تبعات اعتقال الشيخين عباسي وبن حاج والأحداث الأمنية التي عرفتها الجزائر على يد الأفغان العائدين أو الجماعات المسلّحة الصغيرة المخترقة أو المراقبة منذ البداية، ولم يستطع المكتب السياسي الجديد الذي كان يقوده حشّاني أن يفعل شيئا أكثر ممّا فعله، فالقرار بالانقلاب وسحق الجبهة وقتل واعتقال كلّ من له علاقة بها كان قد اتُّخذ من طرف ضباط الجيش والمخابرات بالتنسيق مع الاستخبارات والرئاسة الفرنسية وبمباركة ودعم منها، ثمّ انفلتت الأمور بالشكل الذي يعرفه الجميع.

هل كان في مقدور الجبهة أن تتجنّب ما وقع ؟

في رأيي أنّ الطريقة الوحيدة التي كانت ممكنة لتجنّب الانقلاب والمجازر وتحالف الأعداء هي ألّا تتأسّس الجبهة الإسلامية من الأساس، أمَا وقد تمّ تأسيسها فإنّ ما حدث كان سوف يحدث حتما، والأحداث بعد ذلك في أكثر من قطر عربيّ بعد ثورات الربيع العربي أثبتت ذلك بشكل من المستحيل تكذيبه أو إنكاره.

وكان يمكن للجبهة الإسلامية أن تتجنّب ما حدث بطريقة أخرى وهي أن يكون خطابها وبرنامجها السياسي وأداؤها في الساحة السياسيّة الجزائرية يومئذ فيه من الليونة والمهادنة والغموض والبراغماتية السياسية والقبول بالتنازلات بمستوى يجنّبها كلّ ما حدث ولكن في المقابل يجعلها حزبا ضعيفا غير مؤثّر ولا ذا حضور وثقل في الميدان ولا يستطيع أن يستقطب جموع الناقمين والغاضبين من الشباب خاصّة ومن بقيّة فئات الشعب ولا الساخطين والمتذمّرين من جماعاتهم وحركاتهم الإسلاميّة الذين وجدوا في الجبهة الإسلامية ما افتقدوه عندها. وإن كانت التجربة بعد الربيع العربي وقُبَيلَه بقليل قد أثبتت أيضا أن الليّنين والمتنازلين والمهادنين لم يسلموا من المكر والإقصاء والحرب عليهم بأقذر الأساليب وأحيانا من الانقلاب عليهم بطريقة لا تختلف عن الانقلاب على الجبهة إلا في كونها انقلابات كانت هذه الأحزاب والحركات تعرف نتائجها مسبقا وترضى بتبعاتها بحجة مصلحة الدولة والحفاظ على مؤسساتها ..وتلك قصّة أخرى.

لقد عانيتُ في هـذه السلـسلة من نـدرة المـراجع بل غـيابها فـي بعـض الـقضايا المطروحة فيها، وهي مشكلة شكا ويشكو منها كلّ من يريد الاقتراب من ملفّ الجبهة الإسلامية ودراسة تجربتها وتقييمها، فقادة الجبهة المؤسسون لم يكتبوا أو على الأقلّ لم ينشروا شيئا من مذكّراتهم عن الأحداث، وما نُشر من حوارات في الصحف والقنوات قليل وغير كافٍ في دراسة ظاهرة مثل الجبهة الإسلامية للإنقاذ، والشهادات المسجّلة شحيحة جدّا، وارتباط كثير من الأحداث بقضايا أمنية أو رجال التحقوا بالعمل المسلّح لاحقا زاد من حرج الشهود والكتّاب، وأرشيف الإذاعة والتلفزة المتعلّق بتلك المرحلة غير متاح على الشبكة العنكبوتية، ووثائق الجبهة منها ما أتلفه الأمن أثناء الاعتقالات ومنها ما أتلفه أعضاء الجبهة أو عائلاتهم خوفا من تهمة الانتماء للجبهة والسجن ومنها ما استولت عليه الأجهزة الأمنية وصادره القضاء وأصبح غير متاح وفي مكان لا يعلمه أحد، من أجل ذلك فإن هذه السلسلة جاءت وصفيّة أكثر منها تحليلية لأنّ التحليل ومتابعة الأحداث والمواقف في تفاصيلها يحتاج توفّر وثائق ومعلومات وشهادات يكاد يكون من المستحيل الحصول عليها في الوقت الراهن.



ما زال للجبهة محبّوها والمتعاطفون معها حتى من الجيل الذي نشأ وكبر بعد الانقلاب، وما زال منتسبوها مستمسكين بحقّها في العمل السياسي والمشاركة في التغيير كلٌّ من منطلقه وتصوّره برغم كلّ ما حدث لهم، وما زالت ملفّات المفقودين المختطفين تؤرّق النظام وتقضّ مضجعه، وما زال التحقيق في المجازر والمذابح التي حدثت ومن هو المسؤول عنها تشكّل تهديدا حقوقيّا وسياسيا محلّيا وعالميّا يسعى النظام بكلّ ما أوتي من قوّة ألّا يتمّ فتحه، وما زالت مآسي السجون والمعتقلات وانتهاكات حقوق الإنسان فيها تطلّ برأسها في كلّ عام مرتين أو ثلاثا، وما زالت مطالب المحاسبة والمساءلة والتحقيق والبحث عن الحقيقة وراء كلّ ما جرى و معاقبة المتورّطين فيه قائمة لا يملّ أصحابها ولا يكلّون، وما زالت قيادة الجبهة الإسلامية التاريخية متمثّلة في الشيخين عباسي وبن حاج وغيرهما على قيد الحياة.

وفي الوقت نفسه ما زال للجبهة الإسلامية إلى اليوم أعداؤها والمتربصّون بها داخل مؤسّسات الدولة وخارجها في الأحزاب اللائكية وجمعيات المجتمع المدني التي يسيطر عليها اللائكيّون ويوظّفونها في أيّ اتّجاه يريدونه، وما زال خصومها من داخل الصفّ الإسلامي يكرّرون المبرّرات والحجج نفسها ويشعرون - خطأً وسوءَ تقديرٍ- أنّ عودة الجبهة تهدّد مكتسباتهم وتخصم من رصيدهم السياسيّ ومن وعائهم الانتخابيّ وتزاحمهم في الحضور الميدانيّ، وما زالت وسائل الإعلام كلّها تقريبا تمارس نفس الدور القذر في تشويه وتحريف كلّ ما له علاقة بالجبهة الإسلاميّة، وما زال عدد آخر كبير من الشباب الذي لم يعايش أحداث عشرية الدم و الدموع ضحيّة لهذا التشويه والتحريف.

وسوف تبقى كلّ الملفّات السابقة مفتوحة حتى يسقط النظام المتسبّب في ذلك والمتكتّم على كهوف الأسرار الرهيبة التي تكتنف الأحداث منذ أكتوبر ١٩٨٨ إلى ما بعد سنة ٢٠٠٠، وحتى ترجع الحقوق إلى أصحابها، وتظهر الحقيقة التي عمل النظام وعرّابوه على إخفائها باستفتاء شعبي على ما يسمّى (قانون المصالحة) تحت الإكراه المعنوي والابتزاز السياسيّ والإعلاميّ وبالرشى الاجتماعيّة والسياسيّة في الداخل و بالعمالة للخارج.



وسوف تبقى تجربة الجبهة الإسلامية للإنقاذ محطّة مفصليّة في تاريخ الجزائر المعاصر ما بعد الاستقلال لا يمكن لمؤرّخ ولا قارئ واعٍ أن يتجاوزها أو يغضّ الطرف عنها أو يهوّن من تأثيرها السياسيّ والاجتماعيّ إلى اللحظة التي تُكتَب فيها هذه الكلمات، فلا يمكن لتجربة بهذه الضخامة وهذا الصدى وهذه التضحيات التي بلغت ربع مليون قتيل إذا صدّقنا رواية السلطات وآلاف من المعتقلين في محتشدات الصحراء وعشرات الآلاف من السجناء و ما يقارب ٢٧٠٠٠ مختطف ومليون مهجّر أن تُنسى وتُهضم حقوق أصحابها وتعفو عليها رياح النسيان وتغفل عنها الأجيال فلا تتعلّم منها ولا تستفيد.



ولا أملك في آخر هذا المقال الذي هو آخر حلقات هذه السلسلة إلا أن أتوجّه بنداء صادق وملحّ إلى كلّ من كان له يد وتأثير وعلاقة بالأحداث أن يسارع إلى كتابة مذكراته وتسجيل شهادته وتأمين ما لديه من أرشيف، وأن أدعو طلبة التاريخ الجزائريّ المعاصر أن يخصّصوا أطروحاتهم وبحوثهم حول هذه الفترة ليجلّوا عنها الغبار ويكشفوا ما أحاط بها من تشويه وتحريف متعمّد مقصود ويزيلوا الباطل الذي التبس فيها بالحقّ، وأقرّ أخيرا أنّني تجرّأتُ على الكتابة في موضوع شائك شحيح المصادر جدّا يتهيّب أكثر المؤرّخين والإعلاميّين الكتابة فيه، وعزائي أن أعرّف إخواني من غير الجزائريّين على فترة حساسّة وحاسمة من تاريخ إخوان لهم في بلدٍ كثيرٌ منهم لا يعرفون عن تاريخه القريب شيئا، وما أبرّئ نفسي من الخطأ و ميل القلب مهما ادّعيتُ ذلك أو حرِصتُ عليه.

طرق جمع المعلومات في عمليات مكافحة التمرد

م . أحمد مولانا

" عاد الاهتمام بالعلوم المتعلقة بمكافحة التمرد للواجهة في أميركا عقب أحداث سبتمبر وغزو أفغانستان والعراق، فأصدر الجيش الأميركي عام ٢٠٠٦ بعد انقطاع دام أكثر من عقدين دليلا ميدانيا موجها للمخططين والقادة العسكريين على مستوى الكتيبة فما فوق تحت عنوان " دليل الميدان للجيش الأميركي ومشاة البحرية لمكافحة التمرد" [١] شرح فيه عقيدته الخاصة بمكافحة التمرد.

وقبل التطرق لمضمون الدليل المذكور ينبغي التأكيد على أن مصطلح التمرد هو أحد المصطلحات المستخدمة ضمن التنميط والتأطير السياسي الغربي المرتبط بالنزعة الإمبراطورية الاستعلائية الساعية لفرض الهيمنة فالتمرد بالمفهوم الأميركي لا يقتصر على الحركات الخارجة عن الشرعية، إنما يتسع ليشمل الحركات التي تجاهد لإزالة أنظمة الظلم والاستبداد، والحركات التي تسعى لتحرير بلادها من أنظمة الخيانة والعمالة.

طرق جمع المعلومات

تطرق الدليل في فقرات متعددة مرتبة لطرق جمع المعلومات في ساحة الصراع، مما يجعل تناول تلك الفقرات بإيجاز أمر مفيد:

١ جمع المعلومات من المصادر البشرية

تظل للمصادر البشرية أهمية كبيرة في عملية جمع المعلومات رغم استحداث طرق فنية وتقنية متطورة، فمثلا يمكن للتصوير الجوي أن يوضح إخلاء السكان لقرية من القرى، لكن المصدر البشري هو الذي يقدم تفسيرات لأسباب المغادرة ودوافعها.

وتتنوع مصادر جمع المعلومات بهذه الطريقة، فتشمل المعلومات المتحصل عليها أثناء دوريات التأمين، ومن تقارير قوات العمليات الخاصة التي تعمل مع السكان المحليين، ومن الاتصالات مع قوات أمن الحكومة المضيفة والزعامات المحلية، ومعلومات المقاولين الأجانب والمحليين الذين يعملون في مشاريع البنية التحتية، والخطوط الساخنة التي تتلقى المعلومات من الجمهور عبر الهاتف والبريد الإلكتروني، والشخصيات الأمريكية المدنية العاملة في المكان مثل الصحفيين.

وتمثل المعلومات المتحصل عليها من المحتجزين والمنشقين أهم أنواع المعلومات التي يمكن الحصول عليها من مصادر الاستخبارات البشرية، لأنها تتناول المشاعر والدوافع والأهداف والتكتيكات وتعطي صورة مفصلة عن طبيعة الحركات المتمردة. ويؤكد الدليل على أهمية الاستجوابات الفورية التكتيكية للصنفين المذكورين، ومقارنة المعلومات المتحصل عليها منهم بالمعلومات المتحصل عليها من المعدات والوثائق والأشياء المهملة التي سبق الاستيلاء عليها، لتوفير فهم أفضل للتمرد.

(The U.S. Army and Marine Corps Counterinsurgency Field Manual) (1)



٢ استخبارات المصدر المفتوح

تساعد في فهم بيئة العمليات والتوجهات العامة للمتمردين عبر متابعة وسائل الإعلام مثل القنوات الإخبارية والصحف ومحطات الإذاعة المحلية التي تتناول البيئة محل التمرد.

٣ الاستخبارات التصويرية

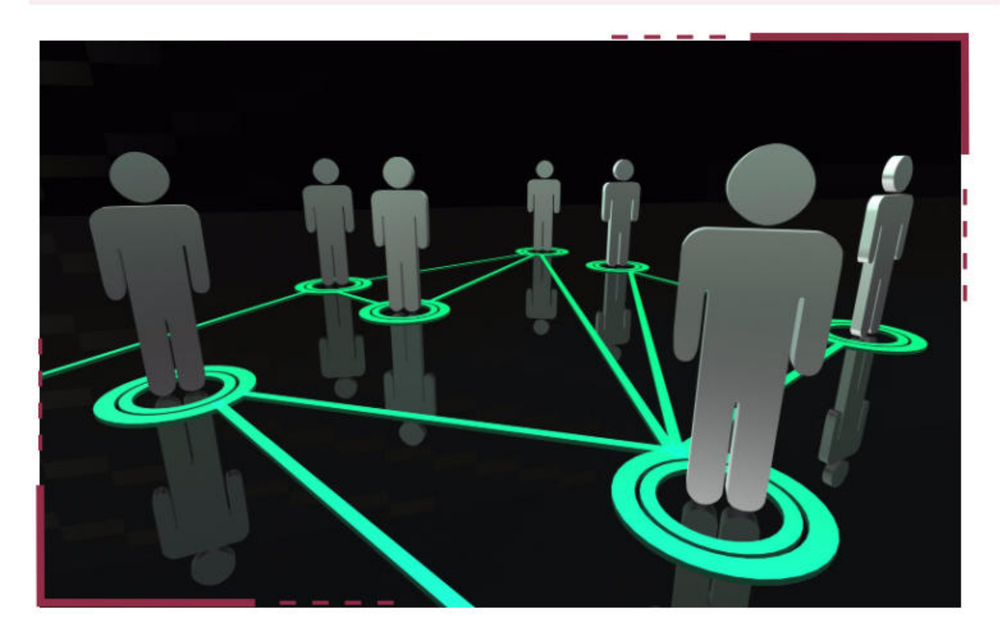
تستخدم في مراقبة مساكن المتمردين والمرافق الآمنة المحتملة لهم، وفي كشف التحركات غير العادية للأفراد والإمدادات. ويساهم التصوير الجوي الثابت للمباني في كشف التغيرات طويلة الأمد في الانشاءات، وتعمل منصات المراقبة الجوية على متابعة المتمردين أثناء العمليات، وتؤمن المراقبة لمناطق يصعب استخدام مراكز الملاحظة البشرية فيها.

٤ استخبارات الإشارة

تلعب دورا أساسيا في جمع المعلومات من المناطق الخاضعة لسيطرة المتمردين عن مواقع ونوايا وقدرات ومعنويات العدو، وتساهم في تأكيد أو استبعاد تقارير الاستخبارات البشرية.

٥ الاستخبارات الفنية

تساعد في تقديم المعلومات عن قدرات المتمردين ومعداتهم، فهى تشمل كيفية استخدام المتمردين لأجهزة تفجير العبوات الناسفة ولمدافع الهاون والصواريخ المصنعة محليا.



٦ الاستخبارات الجيو مساحية

تساهم في تحديد مسارات التهريب والملاذات الآمنة كما يمكنها المعاونة في تحديد المنشئات الهامة، عبر استغلال وتحليل المعلومات التصويرية والجيو مساحية من أجل الوصف والتقييم والعرض المرئي للخصائص الطبيعية والنشاطات المرتبطة بجغرافية المكان.

٧ الاستفادة من الوثائق والمهملات والأحراز

توفر الوثائق والأشياء المهملة والبيانات المتحصل عليها من أجهزة الكومبيوتر والهواتف النقالة معلومات حيوية يحتاجها المحللون لتقييم حركات التمرد وإمكاناتها وفهم نواياها، كما تساهم في بيان مستوى مصداقية المعلومات المتحصل عليها من المحتجزين ومصادر الاستخبارات البشرية الأخرى.

٨ سجلات الملكية

تتضمن وثائق نقل الملكية وغيرها من الوثائق التي تحدد ملكية الأراضي والمباني، مما يساعد في تحديد الأشخاص الغرباء ممن لا يوجد سبب منطقي لإقامتهم في منطق تواجدهم.

٩ السجلات المالية

تساعد في تتبع مصادر تمويل المتمردين وفهم طرقهم في تحويل الأموال.



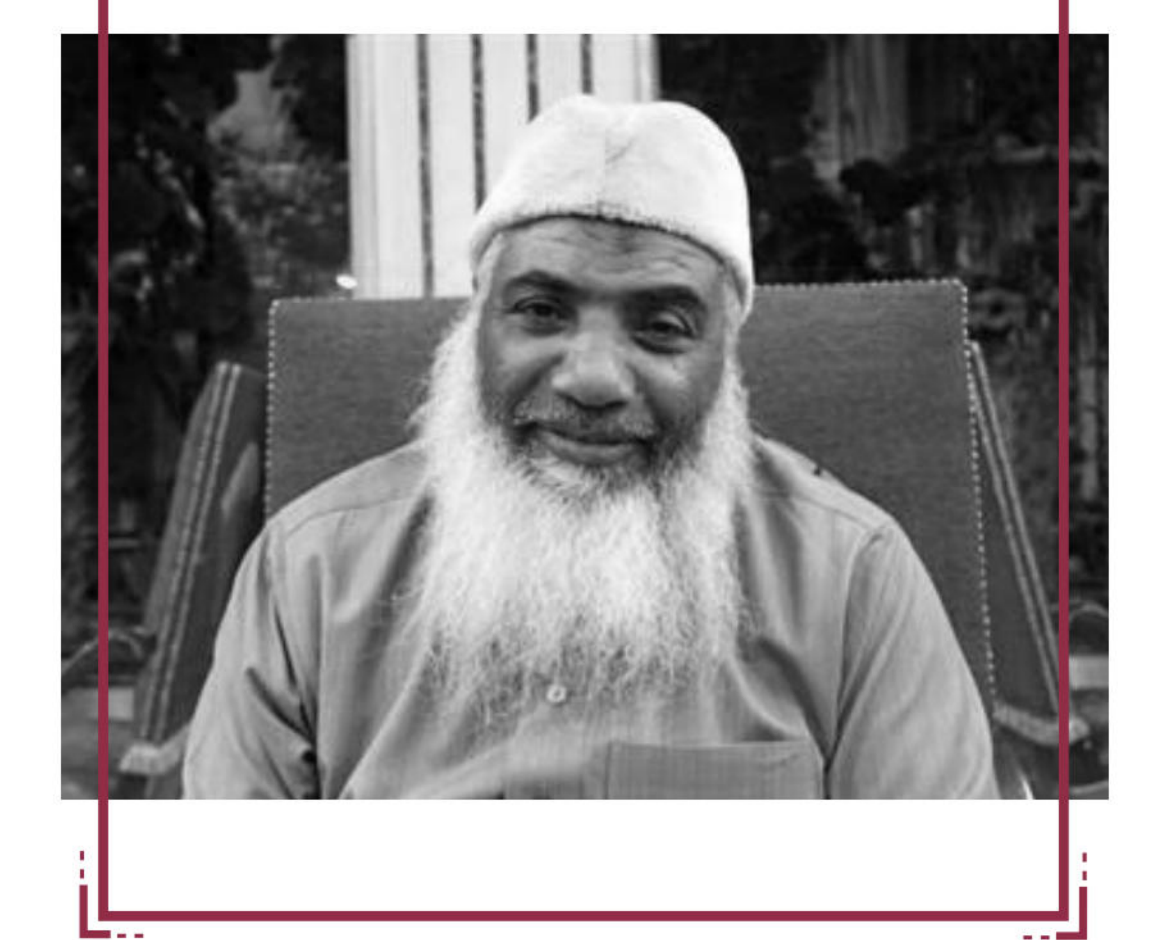
هـذه الـطـرق الـمـذكـورة لجمع المعلومات تساهم في تكوين تصور واضـح عن الحركات المتمردة والمفاصل الأساسية لها وهوية قادتها وسماتهم، وأساليب المتمردين ودوافـعـهـم وإمـكـانـاتـهـم، وعلاقتهم بالبيئة المحيطة بـهـم، مما يساعد على بناء وتطوير استراتيجية مكافحة التمرد المناسبة لمواجهتهم.

ومن الجهة المقابلة يفترض بحركات التمرد السعي للتغلب على تلك الطرق قدر إمكانها للحد من المعلومات المتدفقة عن أنشطتها إلى الخصوم، ومن أبرز الجهود التي تُبذل في ذلك، الحرص على اكتساب حب المواطنين لتقليل حيز المرشحين للتجسس، وتخصيص قسم في الحركة لمكافحة التجسس، واتباع القواعد الأمنية الشهيرة من قبيل المعرفة على قدر الحاجة، وانتقاء العناصر غير الثرثارة، وتجنب استعمال الهواتف النقالة في التواصل، وتوفير أغطية مناسبة لتحركات العناصر وأنشطتهم، والاعتماد على التجهيزات غير الظاهرة تحت الأرض من خنادق وأنفاق ومخابئ.



موجز سيرة (رفاعي طه) كما أملاها

محمد إلهامي



" كنت أعرف اسمه ولكني لم أعرف صورته قط، رأيته لأول مرة خطيبا لعيد الفطر (٢٠١٢م) وتأثرت بخطبته دون أن أعرفه، ولما سألتُ لم أعرف إلا أنه "الشيخ رفاعي" الخارج توا من سجون مبارك ومن الجهاديين القدامى. وحيث كانت سجون مبارك ممتلئة فلم أعر الأمر اهتماما وظننته أحد أعضاء الجماعة الإسلامية أو جماعة الجهاد أو حتى الشباب الذي تحمس قديما وجاهد في أفغانستان ثم لما عاد وُضِع في السجن. "

بعد تلك اللحظة بسنتين كنتُ قد وصلت إلى إسطنبول بعد الانقلاب العسكري بمصر، وأتيح لي أن أراه في مقر تحالف دعم الشرعية، عرفت حينها أنه لم يكن الرجل العادي بل هو الشيخ رفاعي طه من مؤسسي الجماعة الإسلامية وزعيمها بالخارج لفترة والرافض للمبادرات التي أطلقها قادة الجماعة بالتراجع عن أفكارهم. وحيث إني لا أتمتع بالموهبة الصحفية ولا حتى بالمهارات الاجتماعية الطبيعية ولست ممن يحب الاختلاط ببيئة السياسيين مرًّ اللقاء دون أن أحاول الكلام معه رغم أنه قد اشتعلت رغبتي في سماع تاريخه وتجربته.

ثم جاء موعد على غير ترتيب ولا تدبير، اقترح علي صديق أن أذهب معه لإنهاء إجراء أمني يتعلق بالإقامة في تركيا، وكان الأمر يتطلب سفرا فسافرنا، ثم ونحن في طريق العودة فوجئنا بالشيخ رفاعي مع الأستاذ إسلام الغمري عائدين إلى اسطنبول، كانت أمامنا ساعة للحديث في لقاء لم يكن له أن يتم لولا تدبير الله وحده. رأيتها فرصة لفتح موضوع التاريخ وكتابته وتاريخ الحركات الإسلامية، ووجدت لديه اهتماما تاريخيا عاما وأخبرني أنه في مطلع شبابه قرأ البداية والنهاية لابن كثير، وأنه يود لو كُتِبَت سيرة النبي اعتمادا على الأحاديث الصحيحة فقط، فقلت له: قد خرج في الموضوع أكثر من كتاب بالفعل. لم يكن يعلم بها لأنه كان في فترة سجنه الطويلة.

"وهكذا سنحت الفرصة لألح عليه في كتابة مذكراته، فحدثني أنه كتب جزءا كبيرا منها بالفعل في السجن لكن إدارة السجن استولت عليها. والواقع أني وجدت نفسي أمام شخصية عزيزة المنال، فالقليل جدا من قيادات الحركة الإسلامية من يرون أهمية لكتابة مذكراتهم، وأقل القليل من ينوون كتابتها، وأقل أقل القليل من يشرع بالفعل في الكتابة، وهذا ما يجعل تاريخ الحركات الإسلامية حافلا بالتناقض والاضطراب والغموض بما لا يتناسب بحال مع حجم الحدث وضخامة التجربة."

عرضت عليه مــن فـــوري أن أرفع عنه عبء الكتابة، وأن يحدد بيننا موعدا فأسجل له وأستمع إليه، ثم أقوم بعبء التفريغ والتحرير والتدقيق البحثي في التواريخ والأحداث، فرحب للغاية، وهكذا جرى الأمر.

جلست إليه أحد عشر مرة، الأولى منها كانت بغرض التعرف على سيرته موجزة مجملة، والأخيرة أردنا أن نكمل لكن تشعب الكلام في هموم الواقع حتى انتهت الساعات، وكانت تلك آخر مرة أراه فيها، فمن بعدها شُغلت عنه وشُغل عني حتى فجأني خبر استشهاده في ليلة لا أنساها.



في تلك الجلسات اقتربت منه بقدر ما يقترب كاتب مذكرات بشيخ لا يعرفه، رأيت منه تواضعا وبساطة وبشاشة ورحابة صدر، ويكفي أنه استأمنني على كتابة سيرته، وربما غِبْت عنه أحيانا فكان يتصل ويتفقدني ويسأل عني، وهو شيء لا يكاد يفعله من كان في سنه ومقامه ومشاغله، وكان قريب الدموع رقيقا، لا يكاد يتذكر أحدا من إخوانه أو موقفا مؤثرا إلا بكى، وكان أكثر ما يبكي إذا ذكر زوجته، فقد كان شديد الوفاء لها وكثير الثناء عليها، ويتذكر بتأثر بالغ تضحيتها معه وصبرها عليه.

في تلك السطور أروي مجمل سيرته رحمه الله كما أملاها علي في أول جلسة بيننا، وإن شاء الله تعالى نأخذ في رواية مذكراته التي لم تكتمل بل توقفت عند فترة الثمانينات، عند بداية عمل الجماعة الإسلامية في الساحة المصرية.

وُلِد رفاعي أحمد طه في ٢٤ يونيو ١٩٥٤ ، وقتما كانت تعيش الحركة الإسلامية أولى محنها الرهيبة مع النظام العسكري، في قرية نجع دنقل التابعة لمركز أرمنت بمحافظة قنا (في ذلك الوقت) لأبوين من بسطاء الناس، وأبوه من قبيلة الفريحات التي ينتهي نسبها إلى جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.

وُلِد مصابا بالربو، فكانت تأتيه الأزمة الصدرية بين الفينة والأخرى، وتعلق بالصلاة منذ صغره فكان يحب أن يذهب للمسجد في كل صلاة حتى صلاة الصبح، والتحق بالكتاب في بداية أمره، فحفظ شيئا من القرآن، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية (١٩٦١م) وظهر تفوقه فكان الأول على صفه الدراسي، وهو التفوق الذي أهله ليكون ضمن طلائع التنظيم الطليعي التابع لجمال عبد الناصر، فكان من فتيانه ثم صار من شبابه، وكان كادرا ناصريا يُعقد عليه الأمل.

أفاق من سكرة عبد الناصر يوم وفاته حيث لقيه أستاذ له وهو يبكي حزنا عليه، فأخبره بما لم يتوقع من ظلم وبطش عبد الناصر بالمصريين، وبما قام به الجيش المصري من فظائع في اليمن، فبدأ في تكوين صورة أخرى.

بدأ تفكيره في التغيير منذ كان طالبا بالثانوية، حيث أفضى زميل له بأن حكم مصر يُوصل إليه بالانقلاب كما فعل عبد الناصر، وأن الطريق إلى ذلك هو دخول الجيش، رسخت الفكرة في ذهنه، واتفق عليها مع بعض أصدقائه، وتغير تفكيره من دخول كلية الطب إلى دخول الكلية الحربية، ثم وقعت له ظروف أخرى ساقته إلى كلية التجارة.

التحق بالكلية (١٩٧٣م)، وكانت أولى أيامه في الجامعة قد شهدت نشوب حرب أكتوبر التي سمع باندلاعها في اللحظة التي كان خارجها فيها من الجامعة متوجها إلى سكنه، وفي الكلية بدأ النشاط الإسلامي في عهد السبعينات، وتكونت في تلك الفترة بذرة "الجماعة الإسلامية" عبر شباب الجامعة.

تخرج من الجامعة (١٩٧٧م) بينما بقيت معه مادتان من السنة الدراسية، وواصل العمل في تكوين الجماعة الإسلامية والدعوة إليها ونشرها، ووُضِع ضمن قرارات اعتقال السادات (١٩٨١م) لكنه ظل هاربا حتى وقع في الاعتقال لأول مرة في ١٦ أكتوبر١٩٨٢، وفي السجن أتيح له أن يكمل المادتين العالقتين معه، فلم يتخرج من الجامعة إلا في عام (١٩٨٣م).

خرج من السجن بعد أربع سنوات في ١٦ أكتوبر ١٩٨٦، رغم أن الحكم كان بسجنه خمس سنوات، إلا أن خطأ وقع في تسجيل تاريخ إيداعه السجن، جعلت كأنما ألقي القبض عليه مع الدفعة الأولى من رفاقه، وقد فوجئ هو عبر صديق له رأى اسمه في قائمة من سيُفْرج عنهم، وقد كان هذا تأويل رؤية رآها في السجن، فقد رأى أنه كان جائعا فاشترى خمس (سندويتشات طعمية)، إلا أنه أكل منها أربعة فقط، فلما قصها على إخوانه أوّلوها له بأنه سيُحكم عليه بكذا لكنه لن يكملها.



خرج إلى السعودية يوم ٢ أغسطس ١٩٨٨، وأمضى هناك شهرين، ثم خرج إلى باكستان في نفس العام وأمضى هنالك ثلاثة أشهر، ثم الإمارات الإمارات في ١٦ ديسمبر ١٩٨٩، وأمضى عشرين يوما في دبي وأبو ظبي، ثم إلى بيشاور (باكستان) في يناير ١٩٩٠ وظل يتنقل بين باكستان والسودان، ثم عاد إلى السودان (١٩٩٢ م). تلك التنقلات التي كانت محكومة بالظروف التي وُضِعت فيها الجماعة الإسلامية وبقية الحركات الإسلامية أواخر الثمانينات ومطلع التسعينات.

ولما وقعت محاولة اغتيال حسني مبارك في أديس أبابا عاصمة إثيوبيا (٢٥ يونيو ١٩٩٥)، تصاعدت الضغوط على وجودهم بالسودان، فاضطر إلى الخروج إلى سوريا (أكتوبر ١٩٩٥ م)، وقضى بها خمسة أشهر، ثم انتقل إلى إيران في بدايات ١٩٩٦ التي وفرت لهم اللجوء السياسي داخل أراضيها.

كانت إيران قد تعاملت مع الجماعة الإسلامية بتوقير وترحيب، ووفرت لهم مفوضا مباشرة للعلاقة بينهم وبين الرئاسة، كما وفرت له حراسة دائمة حتى في تنقلاته خارج إيران، ولا يفارقه الحارس إلا إن طلب منه هذا، فكان أسلوبه أن يسافر من إيران إلى سوريا، وهناك يطلب من الحارس أن يتركه، ثم يستعمل جواز سفر سودانيا فيسافر به إلى السودان باسم مختلف، فيقضي ما يشاء ثم يعود إلى سوريا، ويستبدل بالجواز السوداني جوازه الآخر، ويعود إلى إيران.

في ربيع عام ٢٠٠١ ، وقع منه خطأ أمني كلفه أحد عشر عاما من الاعتقال، وذلك أنه اتصل من سوريا على أسرته في إيران وأخبرهم أنه يريد من أحد رفاقه بالجماعة الإسلامية التواصل مع السلطات الإيرانية لمنحه تأشيرة العودة حيث كان قد تجاوز وقت التأشيرة، وأخبرهم في هذا الاتصال بعنوان الفندق ورقم الغرفة التي يقيم بها في سوريا.

يقول: فما إن أغلقت سماعة الهاتف حتى قلت لنفسي: ما هذا الذي فعلت؟! فهاتف البيت في إيران لا بد أنه مراقب، وأنا الآن قد كشفت عن مكاني بالتفصيل، فانزعجتُ وتضايقتُ وقررت قضاء الليلة عند صديق فلسطيني في مخيم بسوريا، وأفضيت إليه بما حدث، فقرر أن أبيت عنده، وأنه سيرسل شابا من عنده يتصرف ويأخذ الحقائب من الفندق، فيكون الخطر قد انتهى.

وبعد قضاء ليلته عنده عنَّ له أن يعود إلى الفندق، فألح عليه صديقه أن يبقى، لكنه أصر على الذها للفندق لترتيب حقائبه بنفسه وأن الأمر لن يستغرق سوى دقائق، حيث كان من أمتعته ما يحب أن يرتبه بنفسه، وفي النهاية عاد إلى الفندق، وما إن دخل إلى غرفته حتى سمع طرقا بعدها بدقائق على باب الغرفة، ففتح فوجد رجلين يقولان أنهما من إدارة الفندق وأنه حدث خطأ في تسجيل الغرفة، يقول: علمت من اللحظة الأولى أنهم من المخابرات وأنني في حكم المعتقل، وبأسلوب لطيف مهذب جرى اقتياده إلى مبنى المخابرات السورية التي تعاملت معه بتهذب لكونه ضيفا على الحكومة الإيرانية، ثم بعد ساعة سلمته إلى جهاز الأمن السوري الذي تعامل معه بعنف شديد وإهانة وتعرض هناك للتعذيب.

وبعد خمسة عشر يوما أُخبر بأنه سيُفرج عنه، إلا أن هذه كانت خدعة، حيث اصطحبوه مقيدا ومعصوب العينين إلى الميناء ووضعوه في سفينة مصرية بعدما أوهموه أنها سفينة سورية ستنقله إلى دولة أخرى، وفي السفينة قام ضباط المخابرات بتمثيلية هدفت إلى إقناعه أنه كان في سفينة سورية وأن المخابرات المصرية اختطفته منها في عرض البحر، بينما الواقع أنه وُضِع من البداية في سفينة مصرية.

قضى في جهاز الأمن المصري شهورا من التحقيق والتعذيب، ثم أودع السجن حيث كان محكوما عليه بالمؤبد، وظل فيه أحد عشر عاما إلى أن أفرج عنه بعد شهرين من تولي الرئيس مرسي، وبالتحديد في (٥ سبتمبر ٢٠١٢).



ولما وقع الانقلاب العسكري (٣ يوليو ٢٠١٣)، خرج مع عدد من قيادات الجماعة الإسلامية إلى السودان، لكن الحكومة السودانية أبلغتهم أنه لا يمكنها استضافتهم، واقترحت عليهم الخروج إلى مكان آخر، وعرضت أن توفر لهم وثائق للسفر مع فقدهم لوثائق السفر، وكان يرى أن يخرج إلى ليبيا بينما كان بعض رفاقه يرون الخروج إلى تركيا، ثم استقر أمرهم على تركيا مؤقتا، فإن لم يناسبهم الوضع عادوا إلى ليبيا.

سافروا إلى تركيا (سبتمبر ٢٠١٣ م) لكن وقعت مشكلة لم تكن في الحسبان، وذلك أن جوازات السفر السودانية التي سافروا بها من السودان إلى تركيا قد أخذها منهم ضابط المخابرات السوداني المرافق لهم بنوع من الخديعة، فصاروا بلا هويات ولا وثائق سفر، وبقي الشيخ رفاعي طه في تركيا.

كان طبيعيا لمثله أن يتواصل مع الحالة الجهادية في سوريا وأن يتواصلوا معه، حتى جاء صباح (٨ إبريل ٢٠١٦) يحمل خبر استشهاده في قصف جوي بغارة أمريكية مع خمسة آخرين بعد لقاء جرى مع أبي محمد الجولاني قائد جبهة النصرة في محاولة للتوفيق والإصلاح بين الفصائل الشامية وعلى رأسها جبهة النصرة وحركة أحرار الشام.

وبهذا أسدل الستار على حياة الشيخ رفاعي أحمد طه، أحد القادة التاريخيين للجماعة الإسلامية المصرية، وأحد أبرز الوجوه الجهادية في النصف الثاني من القرن العشرين.

نحاول بإذن الله في المقالات القادمة نشر ما أمكن تسجيله من مذكراته على حلقات، فالله المستعان.



تفتيت أدوات السلطة (٢) حق العقاب

د. عمرو عادل

" يعتبر العقاب أحد أكبر مظاهر السلطة، وهو يعبر عن أقصى درجات هيمنتها وسيطرتها على المجتمع، ولا يختلف ذلك في كافة أنظمة الحكم عبر التاريخ، ويمكن بدرجة ما قياس مدى سطوة النظام الحاكم بقدرته على إنفاذ العقاب فيمن يريد، ولا يوجد فارق كبير في هذا المعنى بين أكثر الدول ديكتاتورية وأكثرها حرية - من حيث علاقة السلطة بحق العقاب - ولكن يظهر الفارق في علاقة العدالة بالقانون بالأخلاق، وهذا موضوع فيه الكثير من الكلام ليس هذا محله.

ما يهمنا الآن هو علاقة العقاب والقانون والسلطة وما هي العوامل الحدِّية التي تدفع المجتمع إلى وجوب انتزاع حق العقاب من السلطة؟ أو على الأقل الرفض الإيجابي وبناء منظومة عدالة موازية، وبالتالي يظهر تساؤل؛ هل حالة مصر بل ربما كل المنطقة العربية تستدعي ذلك؟

إن القانون هو نصوص تعبر عن إرادة الأقوى، وفي النظام الحديث لا يوجد ما هو أقوى من الدولة ومؤسساتها، ولذلك هي صاحبة الحق في وضع القانون، وهو يتغير طبقاً لمن في رأس السلطة وطبقاً للمصالح التي يراها. ولذلك؛ فالنظام التشريعي الإسلامي الذي يفصل كل المنظومة التشريعية تقريباً عن الدولة ويجعلها جزءاً من نسيج المجتمع، يعتبر واحداً من أهم مظاهر الحضارة الإسلامية ومانعاً كبيراً ضد استبداد السلطة باستخدام نصوص القانون.

نعود للوضع الحالي؛ فالنظام الحديث للدولة في سلطاته الثلاث - حتى في الدول الديمقراطية - لم يعد قادراً على الادعاء بالفصل الحقيقي بينها، وهي - كما في أدبيات اليسار - تعتبر وهماً كبيراً وأداة لاستنزاف الطبقات الأكثر فقراً والأقل في المستوى الاجتماعي، وهذه المؤسسات الثلاث - بدرجات متفاوتة - أصبحت منظومة إنتاج قوانين تزيد من قدرات السيطرة للسلطة "البرجوازية" وإضعاف شديد لقدرة المجتمع على الصمود والتحرر.

والوضع في الدول الاستبدادية أكثر قسوة، فلم يعد الخلل فقط بنيوياً في طبيعة النظام؛ بل زادت المأساة بغياب هذا الفصل النظري الوهمي، وأصبحت علنية استخدام كافة أدوات السلطة وأهمها حق العقاب؛ أداة انتقام وتدمير وقتل تماماً كمدافع الهاون والكلاشنكوف، وتحولت كل المؤسسات ومنها المؤسسات القانونية لأدوات قتل مباشر ضد المجتمع.

فالسلطة المنفصلة تماماً عن المجتمع تنتج قوانين لحماية وجودها، وبالتالي فهي قادرة على العقاب على أي فعل تراه مضاداً لها، وأصبح القانون منفصلاً عن العدالة وليس له علاقة بالتبعية بالأخلاق، ولهذا فإن عد المنظومة القانونية بكل أذرعها - الشرطة والنيابة والقضاء - منظومة قمع بل وقتل =حق مطلق لكل المجتمع غير الموجود في مساحة السلطة، وفي هذه الحالة يجب على القوى المجتمعية الحرة التي تسعى إلى الخلاص العمل على تفتيت تلك المؤسسات الثلاث كجزء من تفتيت أداوت السلطة، وهو أحد المسارات الضرورية للثورة.

فهناك مساران رئيسيان لأي عمل مقاوم :

الأول :هو تقوية بنية المجتمع المقاوم

والثاني :هو إضعاف السلطة لأقصى درجة ممكنة عن طريق معرفة أدواتها والعمل على تفتيتها.

وتنشأ هنا أزمة غياب القوانين المنظمة لحياة البشر، فبعد أن قامت السلطة الحديثة بتفتيت قدرات المجتمع وانتزاع كافة أدواته لصالحها؛ أصبح غياب منظومة قانونية حتى لو ظالمة - من وجهة نظر البعض - كارثة أكبر من الظلم؛ قد يكون ذلك مقبولاً في مستوى معين، أما مع تحول تلك المنظومة إلى عصابات مسلحة فهذا الكلام يعتبر حالة من الجنون أو على أقل تقدير غياب كامل للمنطق والعقل.

وما أراه أن القوى المجتمعية يجب أن تقوم بعدة إجراءات في مسار تفتيت السلطة للمؤسسات الثلاث الشرطة والنيابة والقضاء.

أولا: على المستوى الفكري

1. يجب الإيمان المطلق أن المجتمعات قادرة على إدارة نفسها وعلى حماية نفسها بدون الدولة وخاصة المستبدة، وهناك الكثير من التجارب تشير إلى أن المجتمعات تكون أكثر أماناً في غياب دولة الاستبداد، وقد عاش المصريون ذلك في أثناء يناير 1102 عندما اختفت المؤسسات الثلاث وقام الشعب بإدارة نفسه ونجح بنسبة كبيرة.



٢ إدراك أن تكلفة بقاء الوضع الكارثي سيذهب بنا إلى الجحيم الكامل، وأن بقاء سيطرة النظام المستبد على مسارات القانون والعقاب نتائجه أسوأ بمراحل كثيرة من غيابها، مهما كان حجم ما يمكن حدوثه.

٣ الخروج من حالة الرعب المصنوع الذي تصنعه الأنظمة بأن غيابها يساوي الفوضى والموت للمجتمع، وأن وجودهم هو الحامي الأوحد للبشر.

٤ الإيمان بأن الأخلاق والعدالة هما رفيقا السلطة، وأن غيابهما يحول السلطة إلى حالة من استعباد البشر، والدين الإسلامي في المجتمعات العربية والإسلامية هو الفيصل في قضايا الأخلاق والعدالة، ولذلك لن يتحقق تحرر إلا بربط السلطة والعدالة والأخلاق تحت مظلة القيم والنظام الإسلامي في تلك المجتمعات.

٥ المتخصصون في هذا المجال عليهم نشر ما يطرحونه من نظم وأفكار بديلة متوافقة مع الواقع ومستوحاة من نظام ما قبل الدولة الحديثة وينشرونها بقطاعات المجتمع، مثل القضاء العرفي ونظام المحاكم المحلية وغيرها من الإجراءات التي تعيد نسج النظام القضائي بالمجتمع.

أما على المستوى الإجرائي ضد ما تسمى مؤسسات العدالة الثلاث "الشرطة والنيابة والقضاء"

فيمكن توضيحها كالتالي:

١ التعامل مع مؤسسة الشرطة بكل أفرادها كمؤسسة معادية للشعب وأحد أدوات القمع المباشر، ونشر تلك الفكرة داخل أكبر عدد ممكن من القطاعات الشعبية يحتاج للكثير من الوقت، ولكن استمرار الدفع بها وترويجها الدائم أحد أكبر الأمور الممهدة للثورة.

٢ تقليل التعامل بأكبر قدر متاح مع كافة عناصر الشرطة بالدول المستبدة، وإظهار الاحتقار الدائم لكل أفراد القطاع داخل الأسرة والشارع والأماكن العامة دون الاحتكاك بهم، فالتجاهل أحد أقوى وسائل الاحتقار.

٣ البدء في بناء تنظيمات محلية لإدارة العمل الشرطي واكتساب خبرات الحماية والتأمين، وهي متاحة بقدر مقبول في الفضاء المعلوماتي، وهذه التنظيمات المحلية تستطيع القيام بدور الشرطة في بداية المد الثوري، وتستطيع حماية المجتمع من العصابات الشرطية وأتباعها المنظمين الموجودين أصلا لإحداث أكبر قدر من الفوضى عند سيطرة الشعب.

٤ رصد كافة المراكز الشرطية على مستوى البلاد والتخطيط لحصارها وشل حركتها عند بداية المد الثوري.

هذه الأمور تحتاج لقدر كبير من العمل لا يوجد من يقوم بها سوى الشعب، وفكرة انتظار قيام أحد من الفضاء بهذه المهمة، هو أحد وسائل الثورة المضادة للحفاظ على الوضع الحالي.

أما قطاعي القضاء والنيابة العامة فيمكن عمل التالي:

١ البدء - والبدء فوراً - في بناء منظومة قضاء موازي داخل نسيج المجتمع بالاستعانة بالخبراء في هذا المجال.

٢ تقليل التعامل مع المحاكم والنظم القانونية إلى أقل درجة ممكنة، والاعتماد على القوى المجتمعية بكافة أشكالها في الحصول على الحقوق أو التسوية بين الأطراف.

٣ الاستمرار في فضح كافة الكوارث التي تقوم بها المؤسستان بكل الطرق المتاحة.

٤ الاستمرار في نزع ثقة الجماهير في تلك المؤسسات وتدمير الاعتقاد بأنها مؤسسات للعدالة أو أنها مؤسسات بالأساس.

٥ فصل بين القانون والنصوص وتطبيقها من ناحية؛ وبين فكرة العدالة من ناحية أخرى، وأن القانون أصبح لا يتجاوز كونه وسيلة لتحطيم المجتمع ووسيلة لوأد العدالة.

إن كل ذلك يحتاج بالأساس إلى الإيمان بضرورته وأنه حتمي في مسار طويل لإعادة انتزاع حقوق الجميع ولانتزاع حق الحياة الذي دمرته هذه السلطة المتمردة على إرادة الشعب، إن هذا الطريق يبدأ بخطوة إدراك حتميته مهما كان طويلاً وأن البدء به تأخر طويلاً ولكننا لا نمتلك رفاهية تجاوزه.



مذكرات درويش (1)

يسرا جلال



" رغم أن الجو ما يزال باردًا في لندن في هذا الوقت من العام، إلا أن اللورد (كرزون) كان يتفصد عرقًا وقد انتفخت أوداجه وارتفع صوته في جلسة مجلس اللوردات : إنني لم أر مسألة خطيرة كعزم الحكومة على الجلاء من قسم من الأراضي يمتد إلى طول ٣٠٠ أو ٤٠٠ كيلومتر ويمتد عرضًا إلى ٢٩٩ كيلومتر ويتردد عدد سكانه إلى ٢٠٠ أو ٣٠٠ ألف نسمة انبسطت عليهم حماية إنجلترا منذ أكثر من ربع قرن! إن إنجلترا ضحت كثيرًا في سبيل الصومال من رجال وأموال.. حيث أنفقت ثلاثة إلى أربعة ملايين من الجنيهات الإنجليزية . واليوم تريد أن تترك الصومال للمُلا حتى يكون صاحب الأمر والنهي فيه![1]

يبدو أن اللورد على حق فقد أنفقوا الكثير للسيطرة على القرن الإفريقي منذ العام ١٨٣٩، ويبدو أن ما أنفقوه سيكون عليهم حسرة ثم يغلبون.. يغلب على أراضينا في الصومال مناخ صحراوي جاف يسهل معه أن تتخيل إنجليزياً أحمر اللون مختنقًا من ارتفاع نسبة الرطوبة، أبعد أن اختنق جنودها في الصومال تتركها ببساطة؟ تطلب الأمر من بريطانيا مواجهة غريمتها التقليدية فرنسا لتتقاسما سويًا حكم الصومال مع الإيطاليين والأحباش. كما كلفها ذلك مواجهة الثائر الصومالي المُلا محمد بن عبدالله بن حسن نور.

قضى الملا شبابه في تعلم العلوم الشرعية والأدب متنقلًا في أنحاء البلاد الصومالية لا يسمع عن شيخ إلا وقصده ونهل من علمه. وكانت رحلته للحج علامة فارقة في تاريخ الأمة الصومالية. فهناك في الحجاز تعاهد مع رفاقه على محاربة الغزاة من "الدول الأربع التي تقتسم بلادنا وتستعبد أبناءنا وتهيننا في أرضنا وتفسد أخلاقنا، وتزيف عقائدنا، وتسخر شعبنا كله لمصالحها الاستعمارية"[٢].

عاد الملا من رحلة الحج وقلبه يحمل عزيمة للجهاد وسار يخطب بين الناس في مساجد القوم وأنديتهم.. يزكي القلوب ويحض على الجهاد ويحارب التنصير ويفضح من أسماهم (علماء السوء) الساكتين عن الاستعمار المهادنين له.

كنت في بربرة في ذلك اليوم حين لمحته واقفًا بين الجموع يذكرهم أن المستعمر في بلادنا فتنة اختبرنا الله تعالى بها ليعلم منا المؤمن والمنافق. كانت هذه أول مرة أراه يتكلم فيها، أذكر أنه قال : أنا أعلم وأنتم تعلمون أن منا وفينا من يبيعون بلادهم، لأعدائهم وأعداء بلادهم وكتابهم، ثم يدعون زعامة خيالية وهمية، وأن منا وفينا علماء دجالين يحرفون الكلم عن مواضعه ويفتنون الناس بأن طاعة الدول المستعمرة واجبة لأنهم من أولي الأمر الذين قال الله فيهم:{وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم}[٣].

كانت كلماته صفعة أفاقتني وكأنني أسمع هذه الآيات للمرة الأولى. أسرعت إليه بعد أن أنهى كلمته وأوصاني بالانتظام في مدرسته هنا في بربرة.

بعد تخرجي في المدرسة انتظمت معه في فرقته الخاصة التي أسماها (الدراويش)، وكنا نتدرب على مهارات القتال تمامًا كما نتدارس كتاب الله، كنت مسئولًا بشكل أساسي عن استئجار الحدادين الذين يجهزون جيش الدراويش بالرماح والسيوف والنبال والخناجر، كما أوكل إليّ المُلا مهامًا عديدة وكنت من تلاميذه المقربين.



اللورد كرزون

» سبتمبر ١٨٩٩.

استلمت مـــن المُـلا محمد أوراقًا وأقلامًا وقناني حبر، وطلب إليّ كتابة يوميات فرقة الدراويش، يبدو أن المُلا يدرك أننا نصنع التاريخ .

ما زال المُـلا حريصًا على النأي بنفسه وبفرقته من الـدراويـش عن الدخول في أية معركة قبل تمام الاستعداد... وكتب في رسالة إلى الإنجليز إننا نحن الدراويش "نحب المصالحة، ولكن لا نقبلها إذا كانت على حساب بلادنا وديننا وشرفنا". وقال بوضوح: "ونحن ننتظر منكم إما حربًا معلنة وإما صلحًا لا خداع فيه ولا خيانة". [٤].

*****

» ديسمبر ١٨٩٩.

اعتبرت الحكومة البريطانية رسالة الملا إعلانًا للحرب وجهزت جيشًا قوامــه جنودهــا الأوروبيين والهنود والصوماليين، كما اتفقت مع الحبشة وإيطاليا وفرنسا علـــى مساعدتها في حصار الدراويش.

*****

مارس ١٩٠٠.

لم أنم في الليلة الماضية، قضيت الليلة رافعًا يدي إلى السماء مبتهلًا إلى الله أن يجعل النصر غدًا حليفنا.

تغشاني هيبة عندما أتذكر موعدنا المضروب غدًا للقاء الإنجليز، ثم ما ألبث أن أذكر أني عبد وهم عُبَّاد للكبير القهار فأعود لأستحيي مــن ربي.. اللهم اكتب لنا النصر علــى أعدائك.

وقدر الله أننا لم نواجه الإنجليز في (جكجكا)، واجهنا الأحباش بدلًا عنهم. أخبرنا المُلا أن هذه هي طريقة الإنجليز، يستخدمون حلفائهم في الضربات الأولى وعندما يتأكدون من إنهاك الخصم يضربون ضربتهم القاصمة، ولذا فقد أوعزوا إلى الأحباش بالهجوم، ولكن الله ردهم خائبين. الله أكبر.. رأيتهم بعيني ينسحبون يجرون أذيال الخيبة والذعر في أعينهم، إعجابي بهذا الرجل وسعة علمه وعزته ويقينه بنصر الله يزداد يومًا بعد يوم.

*****



» عفراوين ١٩٠٣

انشغلنا كثيرًا بالقتال طوال الأعوام السابقة؛ فلم أتمكن من التدوين علّني أتمكن من تعويض هذا الخلل في التدوين، على أية حال سأوجز لكم ما أنوي بسطه لاحقًا.. أدرك الإنجليز بعد (جكجكا) بسالة فرقة الدراويش فكان الهجوم التالي علينا مشتركًا بينهم وبين الأحباش. توالت المعارك بيننا وبينهم في (فرطدن)، و(أفبكيل)، وكان النصر حليفنا بفضل الله.

كان أبطال الدراويش يضربون كل يوم مثلًا جديدًا في الحماس والفداء، كان معنا رجل مسن يزيد عمره على السبعين عامًا، لم يكن معه سلاح، اندفع مكبرًا إلى ساحة المعركة ملوحًا بعصاة كبيرة ضرب بها رأس إنجليزي فسقطت خوذته وانتزع منه بندقيته وأخذ يقاتل بها طوال المعركة. أما معركة (بيرطكا) فقد كانت منة من الله؛ إذ هرب القائد العام (سواين) وعزلوه عن القيادة العامة وعينوا مكانه قائدًا جديدًا.

ويبدو أن هذا الأخير مصر على الانتقام، فاليوم عند لقائنا في (عفاروين) كان الجنود الإنجليز قد ربط كل واحد منهم إلى صاحبه حتى لا يفروا من أرض المعركة، وألصقنا على أسلحتنا ورقة تحمل قول الشاعر:

في الجبن عار وفي الإقدام مكرمة
والمرء بالجبن لا ينجو من القدر

ثم رفعنا أصواتنا بالتكبير وانقضضنا عليهم كالأسود والخناجر في أيدينا، ولم يخرج حيًا من هذه المعركة سوى ترجمانهم الصومالي الذي أصيب بطعنات سبع ثم تماوت بين القتلى.





أرسل المُلا في طلبي وطلب الاطلاع علــى ما كتبت، شجعني علــى مواصلة التــدوين وسلمني قناني حبر جديدة.

انتصارنا الأخير فـــي عفاروين دفـــع الطليان لطلب الصلح مـــن الملا، بل إنهم سعـــوا ليكونوا ممثلين عن الأحباش والإنجليز، راسلوا الملا عدة مرات بشأن الصلح ولكنه كان يتعمد عدم الرد عليهم إذ لم يكن يريد فتح باب المفاوضات مع عدم تكافؤ القوتين، كان يريد للمفاوضات أن تكون ندًا لند لا قويًا لضعيف.

ناقشناه كثيرًا في أمر المفاوضات ، كنت أثق في رأيه ولكن هذا لا يمنع أن فـــي قلبي غصة من التفاوض معهم ، لم نكن نريد صلحًا مـــع هؤلاء، إما يغـــادروا بلادنا ويتوقفوا عـــن تنصير شعبنا وإما حربًا لا هوادة فيها.

قال الملا لنا إن الهدنـــة فرصة لنتمكن من إقامة أكبر عدد ممكن من القلاع والحصـــون. كما أنها فرصة لحوار هادئ مع جيراننا الأحباش نقنعهم فيه بالعدول عن مناصرة المستعمرين؛ فالرجل الأبيض لا ينوي الخير للرجل الإفريقي.

لا أخفيكم أني وإخواني من الدراويش لا نثق فـــي هؤلاء، ولكن مستشاري المُلا أوصوه بالمضي قدمًا في عقد الهدنة، لن أحكم الآن ننتظر ونرى..

يتبع..

١) ثائر من الصومال، د.عبدالصبور مرزوق، ص ١٥٦، بيت المقدس

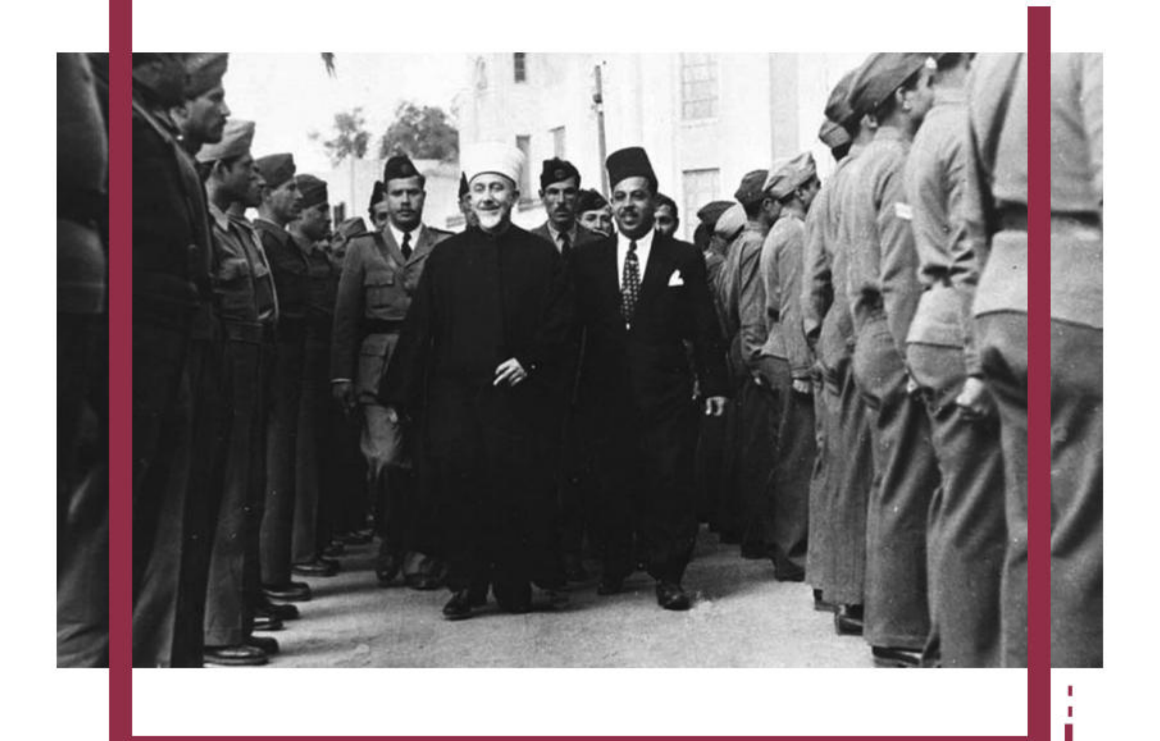
٢) المصدر السابق، ص٢٦.

٣) السابق، ص٣٧.

٤) السابق، ص٤٥.

سلسلـــة كتب مختصـرة (الكتــاب الرابــع)

مذكرات الحاج محمـد أميـــن الحسينـــي (٣)



غادرت روما يوم ٨ نوفمبر ١٩٤١ متوجهًا إلى برلين بالقطار، والتقيت هناك بالوفد الذي كان في استقبالي , ودار بينـــي وبيـــن كبار رجـــال السياسة الألمـــان أكثـر مـن حوار، منها ما كان مع الهرفون وايسيزيكر نائب وزير الخارجية الألمانية، فقد رأيت في مكتبه خريطة كبيرة فأشرت إلى الأقطار العربية فاسترعيت انتباهه إلى اتساع رقعة هذه الأقطار فقال لي: "لا ريب أن هذه الأقطار العربية عظيمة جدًا، ولكن عندما توازن بين قوى الأمم، لا تنظر إلى اتساع الرقعة ووفرة العدد فحسب، ولكنها قبل أي اعتبار ولا سيما في زمن الحروب إنها تهتم بالفرق العسكرية المسلحة، فتركيا -مثلاً- عندها ثلاثين فرقة جاهزة تصبح خمسين حين يدق النفير العام، بينما لا تملك الدول العربية أكثر من سبع فرق نظامية".

كانت مقابلتي لأدولف هتلر فوهرر ألمانيا وزعيم الرايخ الثالث في الساعة الرابعة والنصف بعد ظهر يوم الجمعة ١٢ نوفمبر ١٩٤١، وكان الاستقبال مهيبًا وحافلاً للغاية.

دار بيننا حديث طويل رحب هو بي في بدايته وبمدى معرفته بأحوال أقطارنا وقضيتنا، ثم شرحت له قضية العرب وقضية فلسطين وجهودنا للتخلص من الاستعمار، وطلبت عقد معاهدة رسمية صريحة بين العرب وألمانيا ودول المحور تشتمل على مطالبنا الأساسية.

تحدث معي هتلر حول قضية اليهود ومخططاتهم التدميرية وقال: "إن مهمتي الأساسية ورسالتي الأولى في الحياة هي تصفية قضية اليهودية العالمية؛ لأنها بمنظماتها الواسعة ونياتها السيئة نحو العالم قد تشكل خطرًا هائلاً يهدد الإنسانية جمعاء".

ثم قال لي: أليس من الغريب أن يتعاون الخصمان المتناقضان في المبادئ أمريكا وروسيا ضدنا، لقد استطاعت اليهودية العالمية بوسائلها الشيطانية أن تجمع بين النقيضين الرأسمالية والاشتراكية المتطرفة وتقرنهما بحبل واحد، وتسوقهما معًا لخدمة أهدافها.

حين طالبت من هتلر تصرحات مؤيدة لاستقلالنا أو عقد اتفاقية قال لي: "ليس من الملائم تلك التصريحات، أو عقد اتفاقات قد تضرنا أثناء الحرب، لكن عندما نصبح في جنوبي القوقاز يكون قد حان وقت تحرير العرب، وفي إمكانكم أن تعتمدوا على كلمتي هذه".

انتهى اللقاء وكان يساورني القلق؛ لأن هتلر كان يرى عدم إصدار تصريح وقطع عهد رسمي للعرب في الظروف الحاضرة، خشية أن يُحدِث ذلك رد فعل في بعض الأقطار الأخرى، بينما كنا نحن في حاجة إلى ما يطمئن الأمة العربية.

لم نيأس من الحصول على ذلك التصريح، وبعد مداولات ومباحثات صدر التصريح في ٢٨ أبريل ١٩٤٢ بعد موافقة هتلر، وكان التصريح يتضمن استقلال الدول العربية وإلغاء الوطن القومي لليهود.



كانت تلك التصريحات بشأن المشرق العربي، أما المغرب العربي فكانت ألمانيا ترى عدم إغضاب فرنسا وإسبانيا إذا صرحت بذلك، لكننا لم نيأس وقدمنا مشروعات عديدة تتضمن استقلال بلاد المغرب، وقلت للألمان: إن المغرب العربي مصمم على نيل استقلاله على كال حال، وإنه من الممكن أن يتعاون حتى مع الشيوعية في سبيل ذلك، فقال لي الألمان: "إن الدول الأوروبية ترى أن الإسلام أشد خطرًا عليها من الشيوعية؛ لأن الشيوعية يمكن معالجتها وصد خطرها برفع مستوى المعيشة في الشعوب، وتوزيع العدل الاجتماعي، وغير ذلك من الوسائل.

بينما ترى هذه الدول في الإسلام عقيدة زاحفة يخشى خطرها على أوروبا التي نخرت المدنية الفاسدة في عظامها، وأضعفت نواحيها الخلقية والروحية والعسكرية، فهم يخشون إذا تآلفت هذه الدولة المغربية المتحدة أن يكون لها شأن عظيم، ويتوهمون أنها لا تلبث أن تثب على أوروبا مرة أخرى، ويعيد التاريخ نفسه".

قررت الحكومة الألمانية إنشاء فيلق عربي١٩٤٤، وقامت بتدريبهم وتزويدهم بالسلاح، ووافق هتلر على مساعدتنا بالسلاح في المعركة القابلة، ووضع تحت تصرفنا طائرات لنقل السلاح وتخزينه في فلسطين، وتدريب المجاهدين الفلسطينيين عليه، وقد وصلت بالفعل الطائرة الأولى وعليها الخبراء الألمان، وتم تخزين كمية هائلة من السلاح حوالي ٣٠ ألف بندقية ورشاش في جزيرة رودس وفي ليبيا تمهيدًا لنقلهم إلى فلسطين، وتخزينهم في فلسطين. في سنة ١٩٤١ وافق الألمان وحلفاؤهم على قيام الحركة الكرواتية المتطرفة "أوستاشي" بإنشاء دولة كرواتيا، وضم بوسنة وهرسك إليها.

وكان من الواضح أن الصرب لن يقبلو أن تمتد سيادة الدولة الكرواتية إلى البوسنة والهرسك حتى ولو لم تمسسهم تلك الدولة بسوء، وحدث اصطدام هائل بينهم تكبد المسلمون البوشناق خلالها أكثر الضحايا.

واتســع نطاق عــدوان الصـرب علـى المسلميـن، فأصبحت البوسنة ميدانًا لمجرزة كبرى، وأصدر الجنرال ميخائيلوفيتش قائد عصابات الصرب بيانًا إلى تلك العصابات يوضح أن القصد من كفاح (الصرب) هو إيجاد حدود مشتركة مباشرة بين صربيا والجبل الأسود.

وقد كنت في روما حين وصلتني الرسائل والأنباء المحزنة والمفصلة عن الفظائع الرهيبة الجارية هناك، وعلى أثر ذلك بادرت بمراجعة وزارة الخارجية الألمانية، وأطلعت وكيلها على الوضع، فأبدى شديد أسفه، وقال: إن تلك المناطق هي في المجال الحيوى لإيطاليا، فلا يمكننا القيام بعمل جدي قبل الرجوع إليها، فسافرت إلى روما في اليوم التالي، وطلبت مقابلة موسولينى فقابلني فورًا في قصر فينيسا.



ذكرت لموسوليني أنباء المجازر الفظيعة التي تقترف في حق المسلمين، وقلت له: لو حدث جزء يسير من هذا في الشرق للأوروبيين لقامت الضجة العظيمة والدعايات.فأبدى اهتمامًا شديدًا، وقال: إن هذا الموضوع خطير، واتصل بالسفير الألماني في روما، واتفقوا على اتخاذ جميع الوسائل لوقف هذه الحالة المؤسفة.

وبعد عودتي إلى برلين وصلتني أنباء تدل على أن المجازر مستمرة، وأن عدد القتلى بلغ مائتي ألف، وأن ضعف هذا العدد بلا مأوى، فاتصلت بالجنرال (برغر) رئيس أركان جيش الصاعقة وأقنعته بضرورة السفر فأعد لي طائرته الخاصة العسكرية، وسافرت واجتمعنا مع زعماء البوسنة والهرسك، وبعد البحث معهم ومع قيادة القوات الألمانية في كيفية المحافظة على البشانقه والدفاع عنهم، وافقت الحكومه الألمانيه على تجنيد الشبان منهم، وتدريبهم وتسليحهم بشرط الدفاع عن أنفسهم وعائلاتهم داخل بلادهم، وتم تسجيل حوالي ٧ آلاف متطوع.

وتم تشكيل فرقة عسكرية بوشناقية سميت: فرقة خنجر، ثم تلا ذلك إنشاء فرقة أخرى، وبلغ عدد الفرقتين حوال ٣٧ ألف، كما تألفت قوات محلية أخرى.

وتم الاتفاق مع السلطات الألمانيه على التالي

1. تجنيد عدد من الشبان المسلمين في مقاطعات بوسنة وهرسك لتأليف قوات عسكرية.
2. لا تكلــف هذه القوات بالقيام بأي عمل عسكري خارج بلادهم، ولا بأى مهمة غير الدفاع عن أنفسهم.
3. يناط بهذه القوة حماية النفوس والأموال من المعتدين عليهم داخل بلادهم.
4. تتعهد الحكومه الألمانية بتسليح هذه القوات وتدريبهم وبقاء السلاح مع أفرادها.
5. تكون القوات العسكرية تابعه لجيش (أس) قوات الصاعقة الألمانية.

وقــد قامت القــوات البوسنية بمنــع المجازر عنهم وعن جميع مسلمي البلقان وشرق أوروبا، وغدا الجنرال ميخائلوفيتش وغيره يدارونهم ويتوددون إليهم.

لقد درب الجيش الألماني فرقة خنجر وعند البدء في تأليف الفرقة زارنا قائد كبير مسئول عن التموين الروحي للوقوف على رأينا في موضوع التموين الروحي للفرقة البوسنوية وقال:

(إن العقيدة والإيمان ضرورة أساسية في كل جيش، وإن الجندي الذي لا يتمتع بالإيمان المتين، ولا يرتبط بعقيدة ولا يدري لماذا يقاتل ويضحي بروحه لا يمكن الاعتماد عليه، وإن التموين الروحي ضرورة قصوى كالتموين المادي، بل أكثر أهمية).

وعلى أثر ذلك تم إنشاء معهد للأئمة في مدينة غوين لتوزيعهم على الفرقه، وإنشاء آخر في مدينة درسدن، ولقد تشرفت شخصيًا بإلقاء بعض المحاضرات، وكانت أحاديثنا تتطرق إلى قضية فلسطين، فكانوا يتحرقون شوقًا إلى الجهاد في فلسطين، وبالفعل فقد جاء عدد من ضباطهم وجنودهم، وخاضوا معارك عديدة مثل معركة يافا والقسطل والمالكية وغيرها، ولو اتسع مجال الجهاد حينئذ لرأينا عشرات الألوف من هولاء الجنود يساهمون في تحرير فلسطين..

لقد عرف البوشناق بالشجاعة النادرة، شهد لهم بذلك كل من عرفهم، قال عنهم هتلر: كانو من أبسل الجنود في الجيش النمساوي، وكانت قيادة الجيش النمساوي حين تشتد الحاجة وتستعصي جبهة تستدعي الجنود البوسنيين، وهذه شهادة هتلر شخصيًا، وقد قال: إنه رأى ذلك منهم رأي العين.

كان الألمان قد أنشؤوا معهدًا حربيًا لتخريج شبان العرب الذين كانوا يدرسون في الجامعات الألمانية، وطلبوا أن يدربوا تدريبًا عسكريًّا وافيًا؛ ليكونوا ضباطًا يعملون على تحرير البلاد العربية، وكان عددهم ٢٠٠ شاب.

بعد إتمام تدريبات الشبان قررنا إرسال بعضهم إلى فلسطين للإعداد للمعركة الحتمية، فقابلت عددًا من المسؤولين الألمان، وتم توفير السلاح، وكل ما يحتاجه الفدائيون من عشرات الألوف من الرشاشات والبنادق وأنواع المتفجرات، وخصصوا لنا أربع طائرات لنقلها إلى فلسطين.

وفي صيف ١٩٤٥ أرسلنا طائرة تحمل جزءًا من هذه الأسلحة والمعدات، وتمت عملية إنزال بالمظلات، كما قمنا بإعداد مخازن في الصحراء الغربية ووضعنا فيها ٣٠ ألف قطعة من السلاح مع ذخائرها، لكن فشل حملة روميل حالت دون الإفادة من هذه الأسلحة.



كما أن الانخداع بوعود الإنجليز وأضاليلهم والغفلة التي رانت على قلوب العرب بسبب تضليل عملاء الاستعمار أدت إلى أن الذين اعتمدوا وكلفوا بإيواء المجاهدين الهابطين بالمظلات وإخفاء ما حملوه من أسلحة امتنعوا عن الدخول في هذه المغامرة بحجة أن موقف الإنجليز قد تغير ناحية اليهود بسبب اعتدائهم على بعض الضباط الإنجليز.

في ألمانيا كانت حالة التقشف خلال الحرب جلية واضحة في المأكل والملبس، وفي كل شؤون الحياة، وكنت أرى الكثيرين من كبار رجال الدولة وعيالهم يركبون الدراجات بدلاً من السيارة لتوفير البنزين.

كان الألمان يروضون أنفسهم ويعودون أجسامهم على الخشونة والتدريبات الشاقة، ومن ذلك أنهم كانوا يحملون أطفالهم على المشي حفاة خلال أشهر الصيف؛ لما في ذلك من تدريب الأطفال على الجلد وشظف العيش.

ومما يحز في النفس أن نرى هذا الفرق العظيم والبون الشاسع بين الألمان وبين ما نعيش فيه اليوم؛ فلا تقشف، ولا تخشن، ولا تدرب، ولا سلاح، ولا استعداد لحرب الأعداء.

إن المشروعات العمرانية الضخمة في الأقطار العربية والنهضة الاقتصادية والنفطية تدعو إلى الإعجاب، ولكنها في نفس الوقت تبعث على القلق في أن تصبح غنيمة في أيدي الأعداء إذا لم تكن لها جيوش تحميها.

إن اليهود منذ وطأت أقدامهم فلسطين وهم يسيرون على طرق خاصة من حياة التقشف والتطوير، وإنفاق الأموال على التسليح والتحصين والتدريب وبناء القواعد العسكرية، وكل وسائل القوة التي ضمنت لهم فوزهم على العرب.

الموقف النازي من اليهود

كـانـت ألمانيا مقر اليهودية العالمية و مركزها الرئيسي قبل الحرب العالمية الأولى، وقد حاولوا الضغط على القيصر الألماني من أجل أن يعدهم بوطن في فلسطين من خلال تفاوضه مع العثمانيين مقابل أن يقدم اليهود المساعدة لهم في الحرب، لكن العثمانيين رفضوا الطلب نهائيًّا.



لجأ اليهـود إلـى بريطانيا فوافقت على منحهم وعدًا بالوطن المزعوم، حينها تحول موقف اليهود في ألمانيا على حد قول هتلر: "لقد اندفعوا يعيثون فسادًا وتخريبًا في ألمانيا والجيش الألماني خاصة، وفي بلاد الدول الحليفة لها، وينشرون دعاية سلبية واسعة ليوهنوا قوى الجيش والشعب، كما شرعت المنظمات اليهودية في أعمال تدميرية واسعة لتدمير المواصلات وقطع التموين عن الجيش وأعمال الجاسوسية".

ولم يكـد هتلـر يستولـي عـلى السلطة ١٩٣٣ حتى بادر بإنشاء معهد دراسة القضية الإسرائيلية في فرانكفورت من أجل فهم ذلك الشعب.

كان المعهد يضم نحو ٧٠ أستاذًا من العلماء والمتخصصين في علوم التاريخ والنفس والتربية والسلالات والاجتماع... إلخ.

وقد زرت ذلك المعهد واطلعت على عدد من الوثائق الهامة لديهم، منها الخارطة التي وجدت في خزانة روتشيلد الحديدية وهي تحدد مملكة إسرائيل كلها ما بين النيل إلى الفرات، فأخذنا نسخة منها وعربناها ونشرناها.

لقد قام اليهود بإشعال الثورة والفوضى في ألمانيا تحت ستار الاشتراكية، فلما فشلوا هب من جانب آخر اليهود الرأسماليون في ألمانيا ليتولوا الزعامة فيها، وتحكموا في الشؤون الاقتصادية، وتلاعبوا بالعملة الألمانية.

لم يكتف اليهود بحرمان ألمانيا من النصر في الحرب، بل أضافوا إلى حرمانها من هدنة كريمة وصلح شريف إلى اضطرارها إلى دفع كميات هائلة من التعويضات للدول المنتصرة .

ومن الأحداث المهمة التي حدثت في ذلك الوقت تواصل الملك فاروق مع الألمان وطلبه التعاون معهم، وقد أثار هذا الحادث الإنجليز والأمريكان، فبيتوا لفاروق نية غادرة وتآمروا على خلعه.

وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا

سورة الفرقان الأية (٥٢)



كلمة حق | العدد الثامن , مارس ٢٠١٨

www.klmtuhaq.blog



ذكرى استشهاد الإمام البنا

(دروس للواقع المعاصر)

د. وصفي عاشور أبو زيد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، محمد وآله ومن والاه، وبعد،،

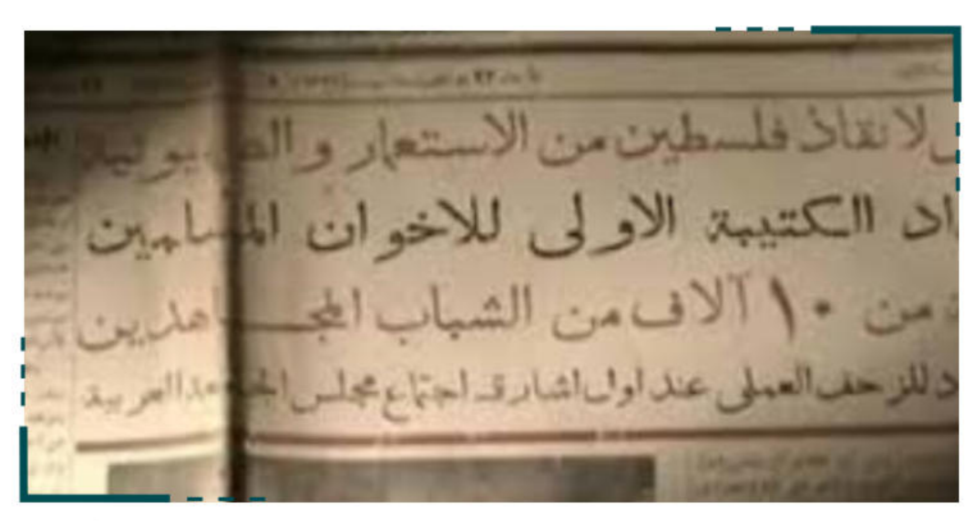
حلت منذ أيام وتحديداً في ١٢ فبراير ٢٠١٨م تسعة وستون عاما على حادث استشهاد الإمام حسن البنا، وقد استهدفته قوى الشر العالمية لاستشعارها خطره عليهم؛ لما أخذه من عهد على نفسه بإحياء الأمة المسلمة وإعادة مجدها ووحدتها، وتحرير إرادتها ومقدساتها، والعمل المستمر والجهاد المتواصل في الدعوة إلى هذا الدين وإعزاز رسالته.

لقد جاء الإمام البنا على قدر مع حال الأمة وواقعها المرير آنذاك؛ حيث تهاوت رايتها، وتفتت جامعتها، وناوشتها الرياح الهوج من يمين وشمال، وتنادت عليها قوى الغرب لتقسيمها واحتلالها بعد أن سقطت الراية الكبرى للمسلمين وهي الخلافة العثمانية التي ظلت فترة ليست قصيرة يطلق عليها (الرجل المريض)، وما أشبه الليلة بالبارحة!

حيث يتعرض المسلمون اليوم في بلادهم للقتل والتهجير والظلم البالغ، وتتعرض فلسطين اليوم لخطر داهم، وإرادة صهيوأمريكية تقوم بتنفيذها قوى "عربية مسلمة" لتنفيذ ما يسمى "صفقة القرن"، يُهجَّر لها أهل سيناء، وتهدم بيوتهم، وتقتل ذراريهم، وتحاصر غزة منذ اثني عشر عاما حتى وصلوا لحالة لا يمكن أن يعيش بها بشر في ظل تواطؤ غربي وعربي معا، وصمتٍ دولي لمؤسسات ما يسمى "حقوق الإنسان" بما يثبت أن الإنسان المقصود هو إنسانهم فقط، وليس إنسان العروبة والإسلام!

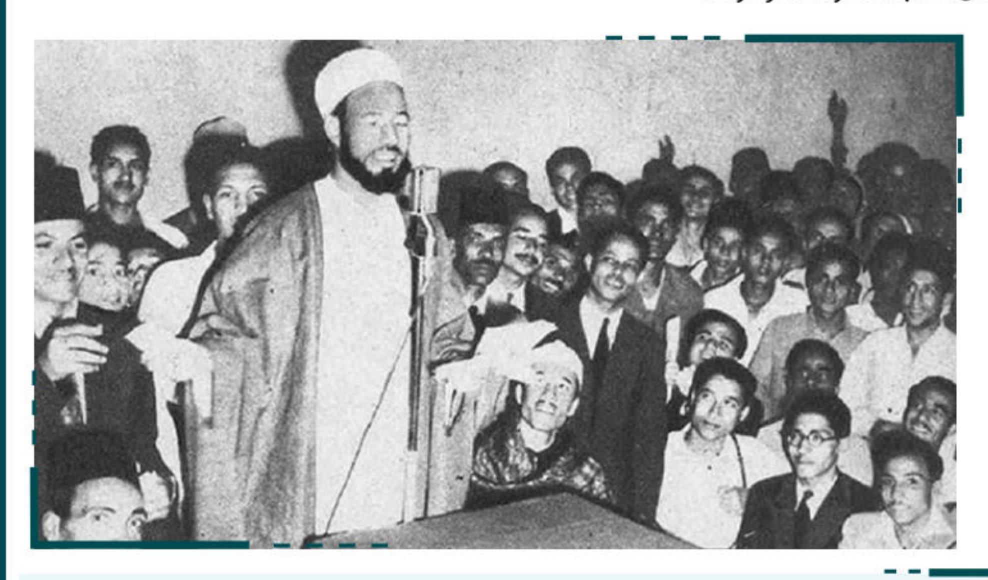
جاء حسن البنا فاجتهد لإحياء الأمة، وكانت "وحدة الأمة" هدفه الذي يسعى لتحقيقه، وغايته التي يعمل للوصول إليها، فوظف لها طاقاته، وكرس لها حياته؛ وسعى سعيه وهو مؤمن، وحشد الصفوف، وجمع الألوف، ورفع اللواء، وقدم الفداء، ونادى على المسلمين أن: "الطريق من هنا".

أرسل حسن البنا كتائبه للجهاد في فلسطين، وأرسل رجاله لمقاومة المحتل الإنجليزي في القناة، وبث روحا جديدة في الأمة بما نشره من فكر، وصنعه من رجال، وما كونه من مربين مجاهدين، مستلهما تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية، وسائرا على هدي السيرة المشرفة، فصنع جيلا فريدا يجمع بين التربية والدعوة، والعلم والعمل، وما هي إلا سنوات حتى تبعه أكثر من مليون مسلم!


لإنقاذ فلسطين من الاستعمار والصهيونية
اد الكتيبة الأولى للإخوان المسلمين
من ١٠ آلاف من الشباب المجاهدين
د للزحف العملي عند أول إشارة اجتماع مجلس الجامعة العربية

ركز حسن البنا في مسيرته ودعوته الإصلاحية على الجانب العملي المنضبط بالعلم الشرعي، ورأى أن المدارس الإصلاحية قبله لا ينقصها علم ولا تعوزها معرفة، وإنما يبقى أن ينتقل هذا العلم وتلك المعرفة إلى عمل تطبيقي وتربية عميقة وجهاد متواصل من خلال عمل تنظيمي يتحرك بالإسلام في مجالات الحياة المتنوعة؛ واقعا عمليا، وعملا واقعيا تطبيقيا.

تميز حسن البنا برحابة الفكر ورجاحة العقل وبعد النظر، مع روحانية عالية وقرآنية سامية حتى أسماه الكاتب الأمريكي روبرت جاكسون (الرجل القرآني)، كما وظف حسن البنا في سبيل هذه الغاية الرجال والنساء، والصغار والكبار، وكان يعطي للعلماء حقهم وقدرهم؛ حيث وظفهم لصالح دعوة الإسلام بما يليق بهم، بل سعى لتكوين عدد منهم بما نرجو أن يكون موجودا اليوم، واستطاع أن يقدم نموذجا للإسلام مشرفا بفهم شامل مستوعب ومستوحًى من كتاب الله وسنة رسوله.

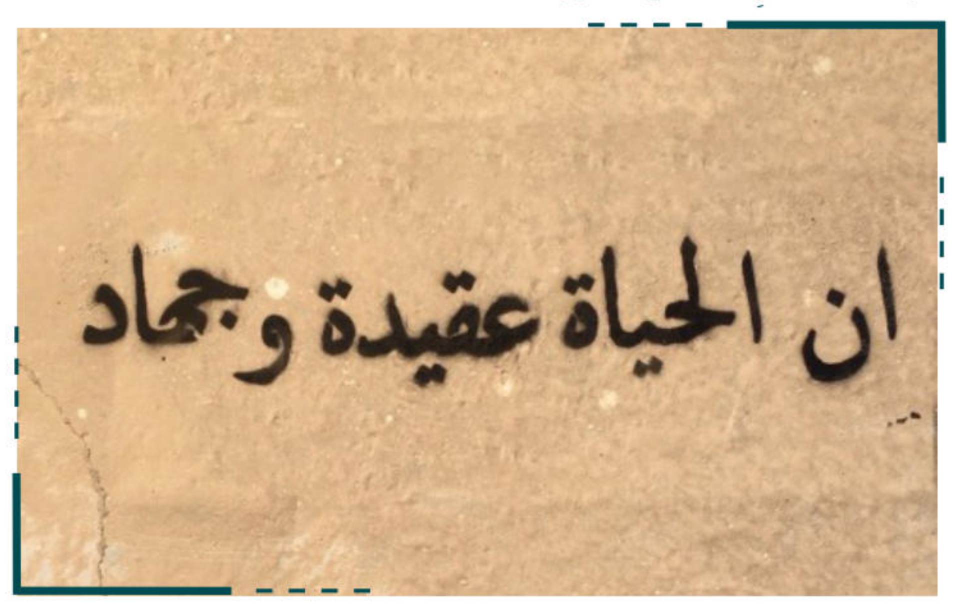


ومن هنا فإننا نريد استلهام روح حسن البنا، والاستنجاد بمسلكه في الدعوة لا سيما وظروفنا الآن مثل ظروفه التي جاء بها، والإسلام واسع يأخذ من الجميع بما لا يتعارض مع أصوله ومقرراته، نبسط أيدينا للجميع كما بسطها حسن البنا، وكما بسطها من قبله المصلحون والمجددون، ومن قبلهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ونتلاقى مع الجميع على المصلحة العامة إنقاذا لمصرنا وأمتنا، وتحقيقا لأمنها ومصالحها، واستكمالا لأهداف ثورتها المباركة، وإنهاء لجرائم الانقلاب العسكري والقصاص للشهداء الأبرار والمعتقلين الأخيار، لا سيما في هذا الظرف الدقيق التي تتسارع فيه الأحداث، وتتلاطم فيه الأمواج، ويقف العقل غير قادر على تتبع الأحداث ومواكبتها؛ فضلا عن تحليلها والوقوف أمامها.

إن حسن البنا كان يملك رؤية، وكان عنده مشروع متكامل لواقعه الذي عاشه، ونحن يجب علينا أن نستلهم هذا المشروع، ونضيف إليه ما يقتضيه واقعنا وتتعافى به أمتنا، فكما جاء حسن البنا واستفاد ممن حوله وممن قبله، فالواجب على أبنائه ومحبيه اليوم أن يستلهموا هذه الروح، ويحددوا رؤية لنهضة الأمة، ويملكوا الأدوات المحققة لها من خلال عمل مؤسسي تخصصي حقيقي، وتقديس للقيم الإسلامية كالشورى والحرية والعدالة والكرامة، وإطلاق الكفاءات تعمل بحرية وتتحرك في ضوء الرؤية العامة المحققة لمصلحة الأمة والمواجهة لمشروع الصهيوأمريكية، والخادمة لصحوتها المباركة.

إن صناعة هذه الرؤية وتحقيقها من خلال مؤسسات متخصصة، وتفعيل حقيقي للشوري وليس شكليا "ديكوريا" .. لا يمكن أن يكون إلا بقيادة راشدة تتأسى بقيادة رسولنا صلى الله عليه وسلم وبقيادة الصحب الأطهار من بعده، ومسلك قيادات هذه الأمة على مر تاريخها، ومنهم الإمام حسن البنا الذي كان نموذجا نادرا في القيادة والعبقرية والاستيعاب وتوظيف الطاقات والقدرات بوضع القوي الأمين في مكانه الصحيح، وتقديم الكفاءات القادرة على تحقيق الرؤية وإنجاز مشروع الأمة الإصلاحي الشامل.

ونحن في مسيرتنا إذ نذكّر بحسن البنا ومشروعه وجهاده وفكره في ذكرى استشهاده التاسعة والستين فإننا نؤكد عى أن هذه الأمة منصورة، وأن هذا الدين سيعلو، وأن الأمل لا يفارقنا لحظة بذلك، ويقيننا لا يهتز، ولكن علينا أن نعد لذلك عدته، ونأخذ له أهبته، والله وحده ولي المؤمنين المجاهدين الصادقين وحافظهم وناصرهم (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) [العنكبوت: ٦٩]. صدق الله العظيم.





الخلاص الكبير

د. عطية عدلان

الحمد لله .. والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد ..

الخلاص .. كلمة كالرعد الذي يسبق الغيث؛ تهز المشاعر وتثير الوجدان وتبعث الأمل في النفوس، فما أشد الاشتياق ! وما أعظم تعلق القلوب ! لكن هل يُرجى للناس مما هم فيه اليوم خلاص ؟ هذا سؤال من الأسئلة التي يقال لسائلها: "لقد سألت عن عظيم وإنَّه ليسير على من يسره الله عليه".

إنَّ الخلاص الكبير قادم لا محالة، وإنَّ معطيات الواقع الحاليّ لتؤكد هذه الحقيقة؛ ولاسيما إذا قيست بنظائرها التي وقعت في التاريخ الإنسانيّ، فما من دورة في حياة البشرية زالت فيها حضارة وقامت على أنقاضها أخرى إلا وشهدت قبل التبديل ما يشهده واقع الصراع القائم على الأرض اليوم: حضارة تفلس في شيخوختها من كل مقومات الإنسانية؛ ويتسرب مخزونها عبر خرق في قاعها لا يسعفه راقع، وفتق في أصلها لا يجبره راتق، وأمة - في المقابل - تحت مطارق المحن المتزاحمة؛ لا يزيدها الفتك بجسدها إلا قوة في قلبها، وجلاء في فكرتها، واتساعاً في دائرة تأثيرها.

لكن من أين يبدأ طريق الخلاص ؟ هذا هو السؤال الذي يجب أن نجيب عليه بحسم وشفافية؛ حتى يذوب الجبل الصخريّ ذوبان الثلج تحت وهج الشمس الساطعة؛ فتستحيل العقبة الكأداء ممراً سهلاً رحيباً، وينفتح الطريق للسائرين بلا انغلاق، ويصبح الأمر العظيم يسيراً على من يسره الله عليه.

إنَّ الخلاص قبل كل شيء هو خلاصنا نحن من ذواتنا الضيقة، وخلاص ذواتنا من دوائرنا المغلقة، وخلاص دوائرنا من قيودنا النفسية والعقلية والتنظيمية، وخلاص قيودنا من العقم الذي - لشدة ملازمته لها - صار كأنَّه لم يخلق إلا لها ولم تخلق إلا له، وقبل أن يتحقق لنا هذا الخلاص لن نخطو خطوة واحدة على طريق الخلاص الكبير.



إنَّ ذواتنا بالأهواء والشهوات مسكونة، وإنَّ دوائرنا بالخلافات والنزاعات مشحونة، وإنَّ التقاليد العقيمة والآراء السقيمة والعادات الوخيمة لا تزال تشكل قيوداً معيقة للحركة والانطلاق، فعلينا - إن كنَّا ننشد الخلاص بصدق - أن نتخلص من ذلك كله أولاً، وليست بمقدور الخلق أن يتخلصوا من جميع ما يلم بهم من شهوات وما يحتوشهم من نزعات ونزغات، وإنَّما المقدور والمستطاع والمأمور به هو المجاهدة، وقد تكفل الله للذين يسلكون سبيل المجاهدة بأن يهديهم لغايتهم؛ فقال تعالى: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا، وإنَّ الله لمع المحسنين).

كيف ينشد الخلاص رجال - برغم حبهم لله ورسوله - تضخمت الأنا في نفوسهم حتى صارت هي والحق مترادفين لا فرق بينها إلا كالفرق بين البحر واليم، وحتى أمسى كل خير شراً مستطيراً إذا لم يكونوا هم رواد الساعين إليه وقادتهم وأئمتهم ؟! وحتى ضاقت بالناس السبل على سعتها ورحابتها؛ لا لشيء إلا لضيق النفوس وانغلاق منافذها وانسداد آفاقها!!



وكيف تنشد الخلاص جماعات وأحزاب وكيانات (ومؤسسات!) لم تعد ترى الحق إلا من منظور أولوياتها ومصالحها، هذا إذا لم يكن من منظور الداعم أو الكفيل أو من يمسك بأصبعيه مفتاح صنبور (الدعم) ومغلاقه !! وباتت توثق الأفراد بنسعة رحلها وتجرهم وراءها راضين وكارهين؛ فلا يملك فرد من الحرية أن يعمل (لايك) لكلمات عابرة على ثبج (الفيسبوك) إذا كان فيها ما يشبه أن يكون معارضة لتوجهات (مؤسسته!) ولو كانت النسبة بين هذه التوجهات وبين ما قيل عنها كالنسبة بين سياسات (السيسي) وما يقولونه هم عنها!!

وكيف نطمع في بناء حضارة - فضلا عن الطمع في الخلاص من أسر الحضارة السائدة اليوم - ونحن نعيش أوهاماً ونقتات أوهاماً ونتنفس أوهاماً، ولا نملك من الجرأة أن نقرأ آية من آيات المواجهة التي تبدد - بمجرد قراءتها دون التعرض لتفسيرها - كل هذه الأوهام، ونردد من الشعارات الخداعة و(المانشيتات) المخاتلة ما ذاع صيته وثبت بألف دليل من الواقع كذبه وزيفه، وكأننا إذ نرددها نعليها على نصوص الذكر الحكيم؛ فأي قوم يبتغون الخلاص نحن وينشدون العلا نحن ؟!!

لن ننال الحرية حتى نتحرر أولاً حرية كاملة، كهذا الحرّ المحلق، المترع غبطة بما انعم الله عليه؛ فلم يعد يبالي بمكانه مادام هو في سبيل الله : " طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، إن كان في الحراسة كان في الحراسة وإن كان في الساقة كان في الساقة" فإلى الحرية والخلاص أدعو نفسي وإياكم، وإنَّ ما نرجوه لفي متناول أيدينا ولكننا لا نريد، ولو أردنا لكان، فإلى الخطوة الأولى على طريق الخلاص، والتي من دونها لا يمكن أن يتحقق لنا الخلاص الكبير.



خطاب حيٌ يُرزق !

د. سلمان العودة (فك الله أسره)



نعم !!

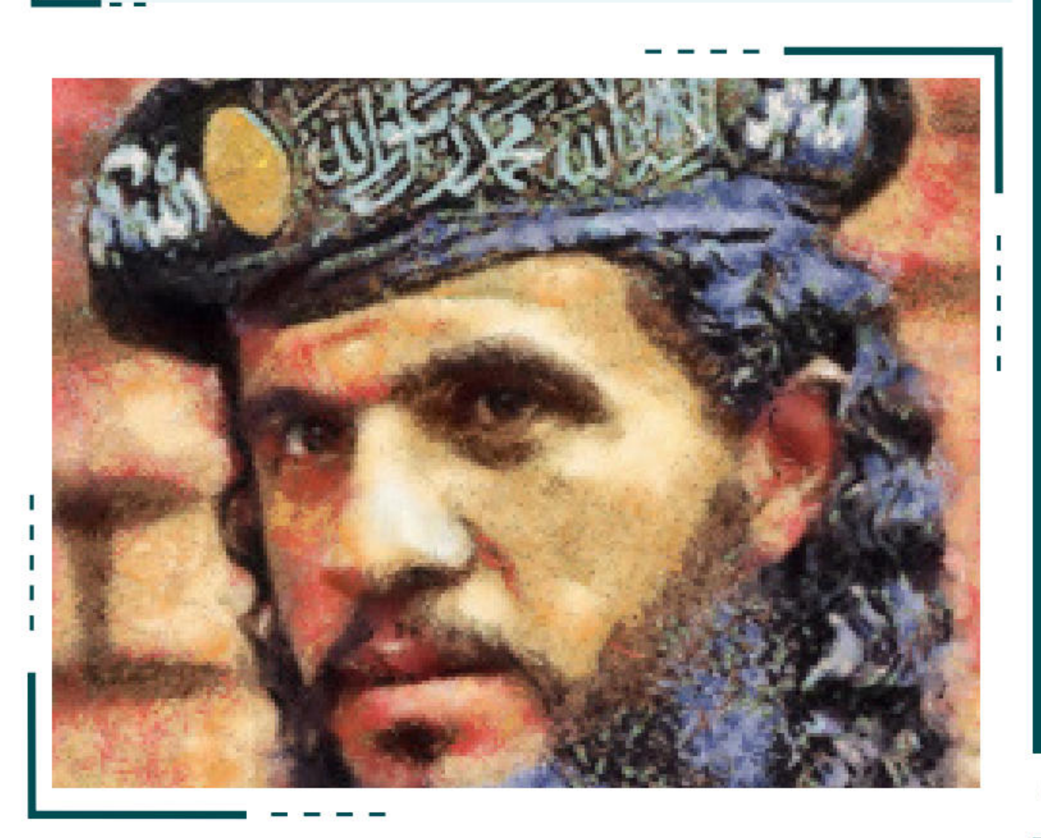
بإذن القائل في تنزيله : **(وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)** .

لقد ذهب ((سامر بن صالح السويلم)) يتطلب الشهادة مظانّها فوقف إلى جانب جهاد إخوانه المسلمين في أفغانستان ، ثم رحل إلى الشيشان ، مُوحّد الهم ، ولا يشغله سوى هم الجهاد في سبيل الله ، ونصرة قضايا المسلمين في كل مكان .

وكأنما دخلت المصيبة بفقده كلَّ بيت ، فهو تعبير شفاف صادق عن تعاطف المسلمين مع إخوانهم ، وجهادهم ضد العدو المحتل ، وسعيهم في تحرير أرضهم من الغاصبين .

ومن يصدق أن هذا الاسم الهائل الذي أقض مضاجع الروس ، حتى كان موته آثر لديهم من إبادة شعب بأكمله ....

إنـه في الثلاثين من عمره ، أو بعدها بقليل ، قضى منها أربعةَ عشرَ عاماً في جهاد متواصل لا ينقطع لقد كان ((الخطاب)) كما أحب أن يُسمّى ، مألَفَة للقلوب، محضناً للتربية الرشيدة على الهدف السامي ، قانعاً من دنياه باليسير ، معرضاً عن القيل والقال ، والمراء والجدال ، سلم منه المؤمنون وتعنّى منه الكافرون المعتدون .



ولم تكن دهشتي شديدة حين سمعت من إخوانه وصاياه الناضجة التي تركها من بعده لمن يواصلون الطريق، والتي هي :-

١ الذي لا تكسبه صديقاً لا تكسبه عدواً.

٢ عدم التدخل في القضايا الداخلية للناس إلا بالإصلاح .

٣ القتال دائماً مع الكفر البَواح (يريد : القتال ضد الكفر البَواح) .

٤ لا تُقم الجهاد في مكان إلا إذا تبنّاه أهله.

٥ استشارة العلماء الأفاضل ، وأهل الحكمة والخبرة بشكل دائم ، والابتعاد عن الاجتهاد الشخصي قبل أي عمل .

٦ اقرأ عدوَّك ، ولا تستهن به ، واختبر رد فعله أولاً .

٧ استخدم عنصر المفاجأة ، واستغل نقاط ضعف عدوك .

٨ استعن بأهل الكفاءة ، ثم الأصدقاء ، بعد الإعداد المتقن .

٩ الابتعاد عن التحزب ونبذ الفرقة ، واتباع السنة ، والبعد عن الترف ، والعمل لنصرة هذا الدين .

لقد كانت حياته - رحمه الله وتقبله في المهديين - ترجمة أمينة لهذه الكلمات الموصية ؛ ولهذا عظم المصاب به على الإخوة المجاهدين ، بل على عموم المسلمين ، ونسأل الله أن يحسن فيهم الخلافة ، ويعوضهم خيراً .

لقد رحل سامر وترك زوجته الداغستانية ، وطفلته سارة (٥ سنوات)، وصالحاً (٣ سنوات) وساجدة (سنة ونصف) دون أن يترك لهم شيئاً من متاع الدنيا الرخيص ، وترك والدته المتصبرة التي تحس باللوعة وحرارة الفقد ، ولكنها تدفع ذلك بقوة الإيمان واليقين ، فتعزّي زوارها بدل أن يعزوها ، وتدعو أبناءها إلى أن يقتدوا بأخيهم ويقتفوا سيرته ونهجه.



نعم !!رحل وترك لهم الذكرى الطيبة التي يحملها كل مسلم متابع لجهاد إخوانه في الشيشان ، والذي أصبح الخطاب رمزاً من رموزه وعلماً من أعلامه ، ولسان حاله يقول :

باللهِ يَـــا صِبيتـي لا تهلكوا جزعاً ... على أبيكم .. طريقُ الموتِ أقدارُ
تركتُكم في حمى الرحمنِ يكلؤكُم ... مـــن يحْمِـــهِ اللهُ لا توبقـه أوزارُ
وأنتـــمُ يـــا أُهيلَ الحيِّ! صِبيتُكُم ... أمانةُ عندكم .. هلْ يهمل الجـارُ؟!

إني أحـسب الرجـل – والله حـسيبه - طاهـرَ القلب ، صـادق الـنية ، نقي السـيرة ، طـاهر السريرة ، كان رحمة للمؤمنين ، وعذاباً على أعداء الدين ، فاللهم ارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله ولجميع المسلمين ، اللهم افسح له قبره ونور له فيه.

وهذه كلمات للأخ الأستاذ تركي اليحيى ترسم صادق الشعور تجاه الراحل العظيم :

ملأ الجبَانُ مِنَ السُّمومِ خِطَابَا ... فَدَعَا الخِطَابُ إلَى العُلا خَطّابَا
يَا مَنْ عَشِقْتَ الخُلدَ تَخْطُبُ حُورَهَا ... للهِ دَرُّكَ عَـاشِـقـاً خَـطَّـابَـا!
مَنْ لِي بعشقٍ مثل عشقِكَ يبتغي ... حـورَ الـجـنـانِ كـواعـبـاً أتـرابَـا!
نـاداك مـن مـلأ السماءِ ملائكٌ ... مَا ضلَّ سَعيُكَ يا فتى أو خابَا
كم خضتَ أهوالَ الوغى من أجلها! ... وظـلـلـتَ تَـقْـرعُ لـلـرّدى أبـوابَـا
تغشي الكريهةَ بل تحبُّ لِقَاءَهَا ... وتُـغِـيـرُ لا وَجِـــلاً وَلا هَـيَّـابَـا
ما زلت في الشيشان طوداً شامخاً ... لـيـثـاً هـصـوراً فـارسـاً وثَّـابَـا
كم ذا سفكتَ من ا لدماءِ دم العِدا ... رأت الـجـبـالُ فـكـبَّـرت إعجابَا
ورحلتَ لم يُر من دمائِكَ قَطرة ... هل كان موتُك للعدى إغضابا !!
أكـرِمْ بغلظةِ فاتكٍ يَفْري العدا!! ... مـا ذمَّ يـومـاً مسلماً أو عابَا
يكفيكَ أن تلقى الإلـهَ مُسَلَّمَاً ... مـا كـنـتَ يـومـاً فاحشاً سبابا
أفـعـالُـكَ الـغـرّاءُ مَـفْـخَـرَةٌ إذا ... كـانـت مـفـاخـرُ قـومـنـا ألـقـابَـا
ستظلُّ يـا خـطـابُ! رمـزاً للعُلا ... وتـظـل بـــدراً سـاطـعـاً أحـقـابَـا
ولئن قُتلتَ ففي العرينِ بقيةُ ... مـا زال شيمةُ أمـتـي الإنجابَا
وَلـدتْ بموتِكَ ألفَ ألفِ غَضَنْفَرٍ ... يتلون فينا الفتحَ والأحـزابَـا

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وسلم .

نُشر هذا المقال بموقع الإسلام اليوم على هذا الرابط.

حازم أبو إسماعيل..
التجربة القصيرة

معتز زاهر
مدير التحرير



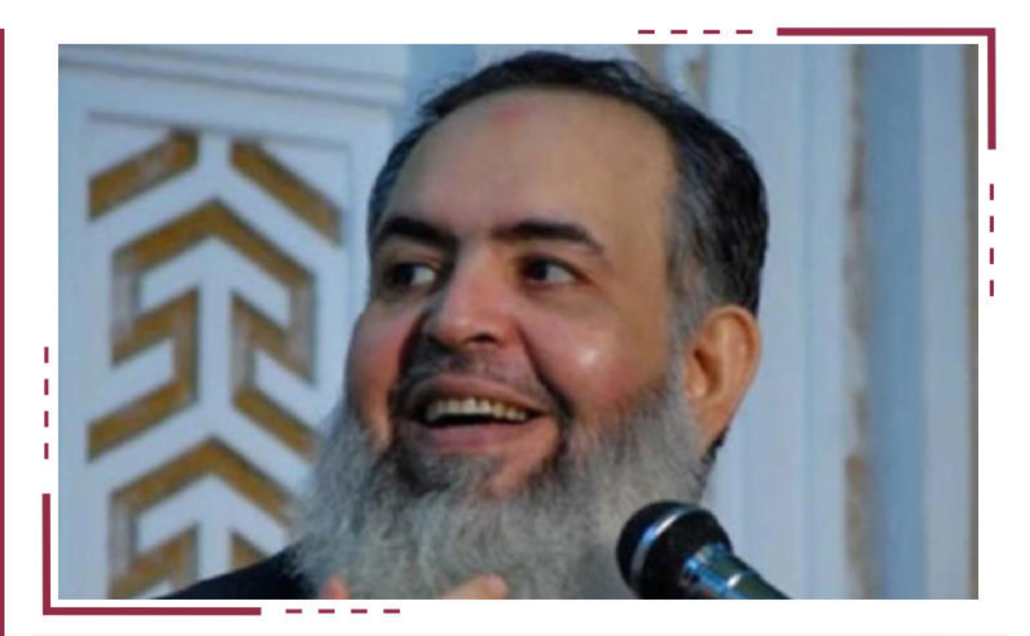
" تتردد بين حين وآخر على صفحات التواصل الاجتماعي مقولات التعجب من تنبؤ الأستاذ حازم صلاح أبو إسماعيل بكثير من المواقف التي حدثت في مصر في السنوات الأخيرة من بعد الثورة، والأحداث التي تحدث الآن، فما من حدث كبير تقريبا يحدث إلا ويظهر مقطع فيديو للشيخ حازم وهو يتنبأ أنه سيحدث، حتى صار محل اتفاق بين الكثيرين سواء المؤيدين أو المعارضين أن أبو إسماعيل كان محقا في أمور كثيرة كانت تؤخذ عليه من "الإسلاميين" قبل غيرهم.

فقد انتقده البعض فيما سموه مواقف مؤامراتية، وأبرز مثال عليها موقفه المعادي المبكر من مجلس مبارك العسكري الذي أدار ما يسمى بالمرحلة الانتقالية، فكان يحلو له أن يسمي وضع مصر تحت حكم المجلس الأعلى للقوات المسلحة أنه "احتلال عسكري"، سمعتها بأذني منه في كلمة له بأحد اعتصامات ميدان التحرير التي يشارك فيها الشباب الغاضب من أداء العسكر حينها. في حين كان أغلب الإسلاميين المنشغلين بالعمل السياسي يحرصون على التقرب من المجلس العسكري حتى لا ينفرد به العلمانيون ويؤثرون على قراراته، في استراتيجية ترغيبية دعوية لا علاقة لها من قريب أو بعيد بالسياسة.

" موقف صلب للغاية أثار تعجب الكثيرين وجلب عليه اتهامات بالمبالغة، حين كان يطلق على العسكر "ذئاب وثعالب"، لا أزال أذكر موقفه الذي أثار استغرابي شخصيا حين قال إن على المشير طنطاوي وسامي عنان مغادرة مصر الآن! موقف غاية في الثورية وكأنه قائد في معركة حربية يصدر قرار الحرب، لكنه قائد بلا جنود مدججون بالسلاح ولا معدات عسكرية.

لقد كانت تجربة حازم أبو إسماعيل ومؤيدوه الذين أطلق عليهم الإعلام ونشطاء السبوبة لفظ أولاد أبو إسماعيل، والذي كان بالمناسبة لا يغضب مؤيديه بالمرة، فقد ظهرت حملات وصفحات تحمل هذا الاسم بافتخار.. كانت تجربة قصيرة ولكنها حافلة بالعبر.

لقد نجح أبو إسماعيل وحده فيما لم تنجح فيه جماعات وحركات تأسست منذ عشرات السنين، لقد وصلت شعبيته إلى حد لم يبلغه أحد كائنا من كان في المرشحين الرئاسيين أو غيرهم في هذا التوقيت، حتى انشغل الإعلام والرأي العام بالحديث عن صوره المعلقة في كل ميدان وشارع وحارة في ربوع مصر، وكانت مؤتمراته الجماهيرية تحضرها جموع مد البصر لا تعد ولا تحصى، في وقت كانت الحملة الإعلامية والمخابرتية في غاية الضراوة ضد "الإسلاميين"، فإذا به يظهر بلحيته البيضاء في كل قنوات الإعلام، ويحاور فطاحل الإعلاميين الذين حاولوا إيقاعه في الفخاخ الإعلامية فلم يفلحوا، وإذا به يتحدث بكل عزة ووضوح عن تبنيه للشريعة الإسلامية دون الخجل الذي كان يبديه غيره من الإسلاميين (إلا قليلا)، ودون الصوت الذليل الذي كان يظهر لمتحدثين إسلاميين سياسيين عند الحديث عن الإسلام وأحكامه، فإذا بهم يتراجعون ويداهنون ويطلقون التصريحات العجيبة التي تسترضي العلمانيين، والذين لم يرضوا إلا بسقوطهم.



» الوضوح

لقد كان الوضوح أبرز عامل جعله محبوبا وذا شعبية بين الناس، فقد كانت الجماهير متعطشة لمن يحمل مشروعا إسلاميا ولا يستحي منه ولا يتوارى في الحديث عنه، لقد كان أبو إسماعيل واضحا للغاية أن الشريعة الإسلامية ستكون هي برنامجه، وأنه سيعمل على تطبيقها بما يراعي الزمان والمكان والحال، وأنه مع جميع بنودها ولا يؤمن ببعض ويكفر ببعض، وأنه ليس مع ما يسميه البعض تدرجا وهو في الحقيقة تنصل من الشريعة الإسلامية بصورة هادئة.

» الوعي الثوري

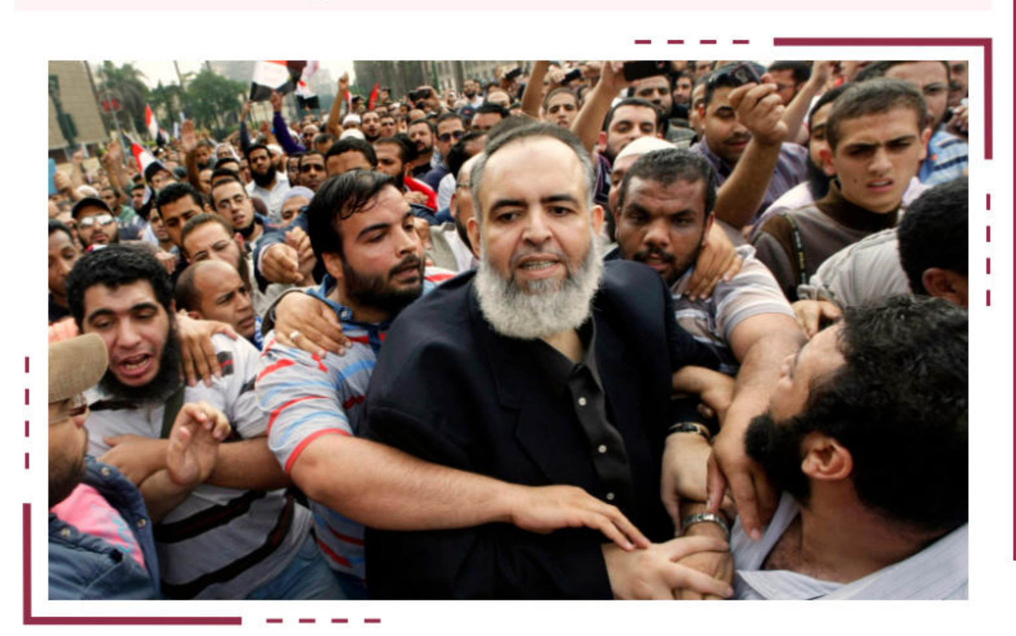
كان الوعي بالمرحلة وشعاره الذي كان يردده "أدركوا اللحظة الفارقة" جاذبا جدا لقطاع عريض من الثوار، حتى من لم ينتم يوما إلى الجماعات الإسلامية ولم يسمه الناس إسلاميا، فقد كانت في حملته البنات غير المحجبات والشباب الذي لا يحافظ على صلاته والمواطنين العاديين الذين ليس لهم أي توجه بل وبعض المسيحيين، وبالطبع كانت الشريحة الأكبر من مؤيديه هم الشباب الإسلامي إن صح التعبير. كان الوعي بأن هذه المرحلة لن تتكرر مرة أخرى إلا بعد عشرات السنوات إن تكررت مرحلة متقدمة في الوعي آنذاك، فقد كان العسكر يعمل على إطالة أمد الحالة الثورية حتى يهدأ الثوار ويدمر بعضهم بعضا بالخلافات، وكان حازم يرى ذلك رأي العين ويحذر منه ويدفع في اتجاه مقاومة العسكر والتخلص منهم قبل أن يتخلصوا هم من الثورة.

الذكاء الإعلامي

أصبح نصب الفخاخ شيئا مألوفا لقيادات الإسلاميين في هذا التوقيت، حتى شكل ظهور حازم الإعلامي نقلة نوعية ومدرسة جديدة في تعامل الإسلاميين مع الإعلام العلماني والمغرض كيف يكون، وكيف تظهر في هذه القنوات لتصل لجمهورها وتوصل رسالتك دون أن تنقلب الأمور ضدك وتصير بظهورك أقل شعبية عما قبله، استضافه أشهر إعلاميي مصر وأحضروا له المتخصصين لإحراجه ولاصطياد الأخطاء والترويج لها بعد ذلك وإظهاره في ثوب الجاهل الذي لا يصلح لحكم مصر، ولكن النتيجة كانت الضد تماما، فما من حلقة يظهر فيها أبو إسماعيل إلا وتزداد شعبيته وينضم له مؤيدون جدد.

الشباب

لم يكن وراء حازم قادة كبار السن يكبلون تحركاته تحت زعم الحكمة والتأني والتريث؛ بل كانت حملته المركزية ومكتبه يعج بالشباب، فلا تجد إلا الشباب تقريبا، من ينظم المؤتمرات ومن يدير العمل الإعلامي ومن ينسق بين المناطق المختلفة وبين من يتابع النشاط الطلابي... إلخ، لقد أضفى الشباب حيوية على الحملة الدعائية وعلى شخصية حازم نفسها، حتى رأى فيهم المحفز ورأى فيهم نصرة الثورة وضرورة الثبات على ذلك والمضي فيه قدما، مما أكسبه نضارة وشبابا جعل من حوله من الشباب يشعرون بأنه واحد منهم ومثلهم وبالتالي أعطوه كل وقتهم وجهدهم ومالهم، فكانت أقوى حملة رئاسية على الإطلاق.



الأمة وليس الجماعة

في حين كان البعض يعمل على تحقيق الظفر لجماعته، وكان يعمل على استقرار حزبه، أو معالجة مشاكله الداخلية المتشعبة والمتراكمة، ولا يتحرك إلا ببطء نظرا لكثرة إجراءات قرارات التحرك... إلخ، في ذلك الحين كان أبو إسماعيل متحرراً من كل ذلك، وكانت عينه على الأمة، على الناس، كان يحملهم المسؤولية معه ويحركهم في خفة إدارية ولا مركزية وتوزيع أدوار وثقة في الشباب وقدرتهم على صناعة المستحيل وتغيير واقعهم، لا مجموعة من كبار السن الذين يصطحبون معهم في كل قرار تجارب السجن والذل والخنوع ونفسية الخوف من المجهول. فحازم صارح الناس بمشكلتهم الحقيقية وهي هؤلاء العسكر، أما غيره فقد تاه الناس معهم ولم يركزوا على المشكلة الحقيقية لهذا الوطن ببساطة لأنهم يجهلونها، فيتحركون ولا يراوحون أماكنهم، بطء وثقل وتكرار للأخطاء ونظر محسوب لكل خطوة تخطوها الجماعة حتى لا يحدث لها ضرر مما جعل التعامل مع الثورة كخطوات السلحفاة، في حين كان يقفز أبو أسماعيل قفزات واسعة وهائلة بمن يستجيب له من الشعب المتحرر من كل هذا الإرث.



لقد أثبتت تجربة حازم صلاح أبو إسماعيل - فك الله سجنه - القصيرة أن الشعب المصري (ليس كله بالطبع) متعطش لقائد يحمل لواء الحضارة الإسلامية، ويعتز بها، ويثور من أجلها، ويقود الجموع نحو نيل حقهم في بناء مصر المستقلة الإسلامية الحرة، وأثبت أن العبرة ليست بمن سبق ولكن بمن صدق، بمن صدق في الأخذ بالأسباب وعلمية التحركات، وتلافي أخطاء الماضي، والمعرفة الحقيقية بمنبع تأخر مصر في ذيل الأمم، وهم أعداؤها من أبنائها الجاثمين على صدورها ويدعون الوطنية، وهم منسحقون دينيا وفكريا للغرب والصهاينة، وسارقون ومفرطون في خيرات البلاد، وآخذون في تدميرها لصالح عدوها الإسرائيلي بخطوات راسخة، لن يوقفها إلا مشروع إسلامي واعٍ بقادة محنكين يعتزون بدينهم وحضارتهم.

نحن في حاجة إلى قراءة مسيرة حازم أبو إسماعيل قراءة متأنية، نحتاج من ينهض ليحلل حلقاته الإعلامية المتناثرة على اليوتيوب ومواقع الإنترنت، وبأمس الحاجة لمن يحرر خطبه في الإعلام والميادين ولقاءاته الصحفية ودروسه بالمسجد... إلخ، ليخرج بنماذج صالحة للتأسي بها ودراستها واستخراج ما فيها من دروس.

فهل ينشط لذلك أبناء الأمة؟





المشرف العام
محمد إلهامي

مدير التحرير
معتـز زاهـر